

د. هشام عبد الجواد الزهيري



١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع/ ٢٠٠٦/٧٩٠٤
الترقيم الدولي/ I.S.B.N 977 - 6168

الناشر



دار الصفا والمروة بالإسكندرية
١٨٥ ش جمال عبد الناصر - سيدي بشر نهاية النفق
ت: ٠٣/٥٤٩٦١٠٧ فاكس: ٠٣/٥٥٦٧١٣٤

المُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ثم أما بعد: فإن التفكر من العبادات الجليلة التي قد أهملها الكثير ولا حول ولا قوة إلا بالله ... وما كان هذا حال السلف بل كانوا يكثرون منه لعلمهم بفضله وفوائده فعسى أن يكون هذا الكتاب سبباً لتجديد هذه العبادة العظيمة في قلبي وقلوب إخواني المسلمين ... ولكني أنبه تنبيها هاماً جداً قد أخطأ فيه الكثير وهو أن التفكر لا يشترط له تخصيص وقت معين أو المداومة عليه في كل حين ووقت بل الوارد عن السلف خلاف ذلك كما سأنبه في موضعه إن شاء الله فمثلاً سنذكر ماذا يستحضر المؤمن عند وضوئه أو عند ركوبه المواصلات أو عند شدة الحر فلا يشترط أن يتفكر في هذا كلما توضأ أو ركب المواصلات فربما كان مشغولاً في هذه الأحيان في مراجعة مسألة فقهية أو في التفكير في حكم فقهي أو في تسميع القرآن ولكن معرفته بما يستحضره يفيده أنه متى أراد أن يتفكر علم في أي شيء يتفكر وكذلك إذا وجد فتوراً عن العلم أو العبادة مثلاً استطاع استغلال الوقت في طاعة لله فينبغي التنبه لهذا إذ التفكر والبال مشغول لا يكاد ينفع كما أن الانشغال به وترك العبادات الأخرى مضيع لأثره في القلب وخير الأمور الوسط والمؤمن كيس فطن يعلم متى ينتفع بالتفكر ومتى يكون غيره من العبادات أولى منه.

كتبه،

د/ هشام عبد الجواد الزهيري



الفصل الأول:

أهمية وفضل التفكر

١ – هو سمة أولي الألباب من المؤمنين والمحسنين قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

وقال ابن المسيب: «إنما العبادة الورع عما حرم الله والتفكر في أمر الله».

وسئلت أم الدرداء عن عبادة زوجها فقالت: «كان أكثر شأنه التفكر» وقال بعض السلف: «أعظم العبادة التفكر» وقال ابن العربي: «اختلف الناس في الصلاة والتفكر أيهما أفضل؟ فقال الفقهاء الصلاة لحديث: «**الصلاة خير موضوع**» وقالت الصوفية: «التفكر» لأنه يثمر معرفة الله وخير الأمور الجمع بينهما» قلت وذلك بأن يستغل العبد أوقات فتوره وأوقات خلواته في التفكر والاعتبار.

٢ – أنه فريضة بعد الفريضة وواجب على من بلغته الآيات فقد قال ابن عباس: «التفكر فريضة بعد الفريضة» ولما نزلت آيات آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ...﴾ إلى عشر آيات قال الرسول ﷺ: «**ويل لمن قرأها ولم يتدبرها**».

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ (عبس: ٢٤-٢٦) والأمر للوجوب ولام الله من لم يتفكر فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ....﴾ (الغاشية: ١٧، ١٨) وأمر به فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ (الطارق: ٥).

٣- أن التفكر سبب كبير لزيادة الإيمان في قلب العبد وقد قال الحسن وابن عباس: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة» وقال أبو الدراء: «التفكر هو اليقين».

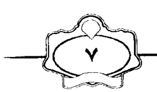
وقال الغزالي: «بالذكر والفكر يصل العبد إلى معرفة الله» وفي الأثر: «طوبى لمن كان صمته فكراً ونطقه ذكراً ونظره عبراً» وقال الحسن: «التفكر مرآة تعرف بها حسناتك وسيئاتك» قلت والتفكر كذلك يجعل في القلب نوراً وطمأنينة عجيبة لا تكون بغير التفكر وقد قيل: «من أدمن التفكر ذاق حلاوة القرآن».

٤- أنه سبب لاستغلال الوقت على الدوام فربما مل العبد من العبادة وربما وجد فتوراً عن العلم ففي شغل الفكر بالاعتبار استغلال للوقت وعبادة في نفس الوقت.

٥- أنه سبب للتجارة الرابحة مع الله فالتاجر في الدنيا إن لم يراجع حساباته والمكسب فيها والخسارة ضاعت تجارته وكذلك التاجر مع الله لابد له من مراجعة لحساباته وكشف أعماله بأن يتفكر في الحسن والسيئ عساه أن يستدرك ما فات.

٦- أنه سبب لنماء الأعمال القلبية بل هو في الحقيقة أكبر سبب لنمائها في القلب فالتفكر يزيد الخوف والرجاء والتوكل والمحبة والزهد والصبر والرضا فلو لم يكن فيه إلا هذه الفائدة لكفى.





الفصل الثاني:

التفكر في الأعمال اليومية:

١ - إذا استيقظ العبد من نومه استحضر أنه ربما مات في نومه وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٤٢) ولكن الله مد في عمره عساه أن يتوب ويعمل صالحاً فليحمد الله على هذا وفي الحديث: «**كان رسول الله إذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» رواه البخاري وكان يقول أيضاً: «**الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي وأذن لي بذكره**» رواه الترمذي وحسنه الألباني.

إخواني ... كم من رجل نام على المعصية فمات في نومه ... فمن أمده الله منكم بيوم فليعمل صالحاً ... وإلا كان يومه كعدمه ...

٢ - فإذا قضى حاجته فليعرف حقيقة الدنيا فهذا هو طعامه وشرابه الذي كان ينافس عليه ويطلب الحرام من أجله هذه هي صيرورته فليستحضر قذره فلم يتكبر ويستعظم نفسه! وتأمل قول الله رداً على من ادعى إلهية عيسى وأمه قال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ (المائدة: ٧٥) أي ويقضيان الحاجة فكيف يكونان إلهين؟!

٣- فإذا توضأ أو اغتسل استحضر كيف يهتم بغسل بدنه ظاهراً ولا يهتم بغسل قلبه باطناً عجباً لك يا ابن آدم ... يؤذيك نتن العرق ... ولا يؤذيك كون قلبك في الشهوات غرق ... وسخ البدن يزيله الماء وهو يسير... ووسخ القلب تزيله التوبة وكمالها عسير ....

٤- فإذا ذهب ليصلي الصبح في المسجد واستنشق نسيم الفجر فليتذكر الجنة فقد قالوا كل أوقاتها كنسيم الفجر فإذا دخل المسجد استحضر أن المسجد بيت الله ولا يليق بمنكر نعمة الملك أن يدخل بيته فلولا وجوب الجماعة لما لاق بمثله أن يدخل بيت الملك سبحانه وفي الأثر: «أن رجلاً من بني إسرائيل هم بدخول المسجد فقال في نفسه أومثلي يدخل بيت الله؟ فأوحى الله إلى نبي قومه أن قل له إن الله قد كتبك في مقامك صديقاً» رواه أحمد في كتاب الزهد.

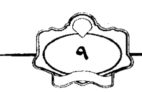
إخواني ... المسجد بيت الأطهار ... فأيكم تطهر من الأوزار ... ومع ذلك فدخول المسجد واجب والله هو الغفار ..

٥- فإذا كان في المسجد مع إخوانه فليعلم أنه شر أهل المسجد فهل يعلم أحدكم من ذنوب الناس مثل ما يعلم من نفسه؟ من هو أكبر سناً منك صام وصلى قبلك ... ومن ولد بعدك ذنوبه أقل منك ...

٦- فإذا أقيمت الصلاة وقال الإمام استووا فليبك قلبه كيف يستوي البدن والقلب على غير الاستقامة .... دخل رجل ليؤم الناس فقال استقيموا فبكى وقال: «ما استقام قلبي بعد».

٧- فإذا انتهى من صلاته استحضر كذبه وتقصيره وأما كذبه فقد قال في صلاته «الله أكبر» وما كان حاله هكذا فكم فضل الدنيا على طاعة الله؟ وكم غاب بقلبه أثناء الصلاة عن الله؟ وأما تقصيره فلكثرة سهوه في صلاته وعمله فجدير بهذا أن يبادر بعد الصلاة بالاستغفار ولذلك كان أول ما يبدء به الرسول ﷺ بعد صلاته الاستغفار. ثم ليجتهد في تدبر أذكار ختام الصلاة عسى أن يعوض نقص صلاته.

٨- إذا شم رائحة الزبالة أو رأى مياه المجاري طار قلبه خوفاً ورعباً فطعام أهل النار أشد نتناً فكيف يأكلونه؟؟



٩- فإذا مر بفرن أو حداد أو شعر بحرارة الشمس فليتذكر النار وحرها كيف يحتملها أهلها؟

إخواني ... نار الدنيا أذابت الحديد .... فكيف بجسم الآدمي الضعيف؟!

١٠- فإذا شعر بالبرد الشديد الذي لا يكاد يحتمل مع الملبس استحضر زمهرير جهنم وفي الحديث: «**اشتكت النار وقالت أكل بعضي بعضي فأذن الله لها بنفسين في الشتاء والصيف فأشد ما تجدون من البرد في الشتاء فهو من زمهريرها وأشد ما تجدون من الحر في الصيف فهو من حرها**»

رواه مسلم.

١١- فإذا ركب وسيلة مواصلات استحضر كيف سخرها الله له ويسرها فكم مكث هو وغيره في الشارع ينتظرون وسيلة فما وجدوا؟! ثم ليستحضر بمرور الوسيلة وجريها مرور الزمن وجريه .. فالعمر ينقضي وما مر منه لا يعود وفي الحديث: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**». رواه البخاري.

إخواني .... ليكن أحدكم في الدنيا كالمسافر ... لا يستقر في بلد إلا ليأخذ المؤنة حتى يصل إلى بلده المقصود فلا تأخذوا من الدنيا إلا المؤنة وليكن أساس سعيكم من أجل الآخرة.

أيكم إذا سافر أخذ أثاث بيته معه وهو يثقله؟؟؟ كذلك إذا سافر أحدكم إلى الآخرة فليحذر من حمل كثير الدنيا فهي تثقله ... الغريب في بلده لا يخاصم ولا يشاتم... فما بالكم على الدنيا وهي دار الغربة تتنافسون وتتخاصمون؟؟ أيكم يقضي في مواصلاته كل الوقت؟؟ فما بالكم تنشغلون بالدنيا كل الوقت؟؟

١٢- فإذا أكل أو شرب استحضر نعمة الله فكم ممن لا مأكل له ولا مشرب له ولا ملبس له ثم ليستحضر أنه قليل الشكر كثير العصيان فكيف تعصون الملك وأنتم لا غنى بكم عن رزقه وعونه؟

فلو استحضر العبد هذا لما عاب طعاماً ولا بالغ في الأكل بل يكون أكله على استحياء من ربه إذ هو عاص له.

١٣- فإذا أخذ المضطجع لينام استحضر حرمان كثير من الناس من نعمة المسكن فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي له ثم ليلم نفسه كيف ينام وسيده وخالقه لا ينام فمن سوء الأدب نوم الخادم قبل مخدومه فحينئذ يكون نومه على عجالة وللحاجة لا لذاذة وكسلاً وترفاً ثم ليستحضر النوايا الصالحة حتى لا ينقطع عنه العمل بنومه.

١٤- فإذا لبس ملبسه وراعى نظافته وحسنه فليستحضر أنه لم ينظف قلبه هكذا فكم من مبيض لثيابه مدنس لدينه ... وكم من نظيف الثياب وسخ القلب!! ثم ليحمد الله على نعمة الملبس وليدع لإخوانه الفقراء.

١٥- فإذا وقف في طابور خبز أو مشترى وكذلك إذا انتظر غائباً طويلاً فليتذكر بذلك كله حال الناس يوم القيامة وهم ينتظرون لتلقي الكتاب أو للوقوف بين يدي الله.

١٦- فإذا أكل طعاماً طيباً تذكر ما في الجنة فعن بعض السلف أنه كان إذا مر بما تشتهيه نفسه قال: «إني لأشتهيك ولكن موعدنا الجنة». وكذا لو مر ببستان أو مكان طيب تسعد فيه نفسه فليذكر نفسه بالجنة ليشتاق إليها وليزهد في الدنيا ولا يغتر بها.



الفصل الثالث:

التفكر في الوقائع التي يمر بها العباد:

وسيكون كلامي في هذا الفصل عن أشياء لفتت نظري فتفكرت فيها وعرفت ما سأذكره عسى أن يكون باباً لزيادة إيماني وإيمان إخواني أو باباً للاتعاظ والاستفادة والله المستعان.

علم الله بقلوب عباده:

١ - حدثتني نفسي يوماً باستشكال حديث: «**من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ومن تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه**» وقالت كيف تقبل توبتهم بعد انغماسهم في المعاصي والشهوات؟

فقلت لها وقتها هذه رحمة الله والله غفور رحيم وعسى أن يكون في الأمر شيء لا تعرفينه ثم بعد فترة ما وجدت أناساً بلغ أحدهم ما يقارب التسعين وأصيب بسرطان وهو لا يرتدع ولا يتوب بل لا يزال يحل ما حرم الله على حسب هواه ورأيت ملوكاً ابتلاهم الله بأمراض سرطانية مع بلوغهم ما يقارب الثمانين ومازالوا يؤملون في الحياة كأنهم لن يموتوا وكأنهم خالدون فقلت سبحان الله كيف انعدم الخير من قلوبهم وإلا فماذا ينتظر هؤلاء من الحياة والموت قريب جداً منهم؟؟

فحينئذ قالت نفسي نعم والله ما وفق الله غيرهم للتوبة في سنهم أو قبله إلا لخير في أنفسهم استحقوا به أن يتوب الله عليهم ويلهمهم التوبة فسبحان من علم بقلوب عباده.

فوائد القيام بحقوق الإخوة:

٢- زارني بعض أصدقائي لأقضي له حاجة وكنت وقتها مشغولاً بكتابة أشياء فشعرت نفسي بالتضايق الشديد وودت أن لو انصرف سريعاً ووجدت نفسي كذلك لا تكاد تحضر الأفراح والولائم التي يقيمها الإخوة بزعم المحافظة على الوقت فقلت لها لابد أن يوجد بلاء لك بزيارات الإخوان وحضور أفراحهم فابحثي عن نوايا وفوائد عساك أن تقبلي بهمة على هذه الأعمال فوجدت الآتي:

أ - أن هذه الأشياء في الحقيقة اختبار لمحبة الله في قلب العبد فالعبد إذا أحب العلم أو العبادة صارا هما حظ النفس ولكن حضور الولائم والأفراح ومشاركة الإخوان مشاكلهم هو مراد الرب فمن فعل ما يحبه الله كان محباً لله ومن ترك ذلك لم يكن محباً للعلم ولا للعبادة في الحقيقة بل يكون محباً لنفسه فقلت لنفسي فإن كنت تريدين الوصول إلى محبة الله فهذا طريقك.

ب- ثم يا نفس هبي أنك وقعت في مشكلة أو عقدت وليمة أو فرحاً أما تحبين من الناس أن يحضروا؟ فما لا ترضين لنفسك لا ترضيه لغيرك وإلا كنت أنانية لا تعرفين إلا نفسك.

جـ- ثم في حضورك للأفراح والولائم ومشاركتك في حل المشاكل نفع وخير ففي الحديث: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس**» رواه ابن الدنيا وحسنه الألباني بل هذه وسيلتك للإخلاص بأن تعملي ما لا تحبين ابتغاء مرضات الله.

د - ثم في هذا اختبار لصفة الكرم والجود والسخاء وسماحة النفس فهذه طباع لا تظهر إلا بالاختبار فإن عاملت الضيف أو من زارك بهذه الأخلاق

الطيبة فبها ونعمت وإلا فليست هذه الأخلاق الكريمة من أخلاقك فحاولي أن تتخلقي بها.

مراقبة العبد لربه:

٣- ركبت يوماً سيارة أجرة فوجدت مكتوباً على الطريق لافتة «احترس من الردار» ثم وجدت السائق يأتي عند أماكن معينة فلا يتجاوز السرعة المقررة ويأتي عند أماكن أخرى فيتجاوزها فبحثت عن سبب ذلك فإذا السبب كون الأماكن التي يبطئ عندها قد سجل الرادار لغيره عندها مخالفات والأماكن الأخرى لم يسجل فقلت في نفسي:

أ - ما راقب السائق الرادار مع عدم رؤيته له إلا لعلمه بوجود عقوبات فكذلك البشر لا يراقبون الله مع عدم رؤيتهم له إلا بوجود نوع عقوبات يبتليهم الله بها في الدنيا بسبب معاصيهم ومخالفاتهم.

ب- لا يصح عقلاً إنكار وجود الله لعدم رؤيته فها هو العقل يصدق بوجود الرادار لما ظهر أثره مع أنه لم يره.

كيف يستصغر المرء لعبادة نفسه:

٤- قال لي بعض الإخوة لما صام يوم الاثنين فرحت بنفسي اليوم لما صمت وبعدها بقليل قابلت أخاً كثير الصيام جداً فقلت له أدع الله لي أن أصوم مثل بعض صيامك فقال لي بنبرة المتيقن لا بنبرة المتواضع قال لي أنا قليل الصيام جداً فتفكرت في نفسي في حالهما فإذا بالأول قليل الصيام فلما صام يوماً فرح به بينما الثاني كثير الصيام جداً فإذا به يلوم نفسه أن لم يصم يوماً ويوماً كحال بعض السلف فاستصغر صيامه الكثير فتبين لي فائدتان:

أ - من أكثر من العبادة أياً ما كانت استصغر ما يعمله ولوْ كان كثيراً.

ب- من قارن نفسه بمن هو فوقه استصغر عبادته ونجى من العجب.

كيف يتخلص المرء العجب:

٥- صمت يوماً ما شديد الحر جداً وتعبت فيه جداً فقالت لي نفسي هنيئاً لك صمت في هذا اليوم وقليل من صام وإذا بها تجول بخاطرها ماذا سيكون لها في الجنة على هذا العمل فقلت لها يا نفسي ليس المهم أنك صمت لكن المهم أن يقبل منك وتدخلي الجنة فما أخوفني عليك من سوء الخاتمة فتدخلين النار فيضيع مجهودك وما عملت فإذا بها تلهج بقولها: «اللهم أجرني من النار» فقلت هكذا والله علاج العجب فربما شق على بعض النفوس استصغار ما عملت فلا تنجو من العجب إلا بتذكر احتمال سوء الخاتمة فتنكسر حدة العجب وثورته.

متى يتقدم العبد للإمامة:

٦- دخلت مرة للإمامة فحاولت تحسين صوتي وتجميله مباهاة فكان سيئاً وما تدبر أحد ودخلت مرة أخرى وأنا كاره لا أريدها فكان صوتي جميلاً وتدبر الناس فقلت كأنه لا يوفق للعمل إلا من لم يطلبه وفي الحديث: «**لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها**» متفق عليه فهكذا كل الأعمال ثم قلت كأنه أيضاً من أرضى الله بخشوعه وإخلاصه نال مراده ومن راءى الناس لم ينل شيئاً وقد قال بعض السلف: «إذا كرهت الإمامة فتقدم وإن أحببتها فتأخر» وهذا إذا وجد المرء من يحسن الصلاة غيره.

سبب عدم التزام الأبناء:

٧- بلغني عن أولاد بعض المشايخ أنهم غير ملتزمين بل ووجدت كذلك كثيراً من الملتزمين آباؤهم ليسوا بإخوة فخفت على نفسي جداً أن لو رزقني الله بولد أن يضل ثم تأملت بعد فترة في حال شباب التزموا منذ نعومة أظفارهم واستمروا بحمد الله على هذا فبحثت عن ضلال من ضل فوجدت الآتي:

أ- أن سبب ضلال بعض الأبناء هو عدم اهتمام آباءهم بهم وإهمالهم لمتابعتهم لهم ولأصدقائهم فلا يليق بالأخ أن يهتم بدعوة الغريب ويترك أولاده فهم أولى الناس ببره ودعوته.

ب - أن سبب عدم التزام بعض الأبناء وكذلك هو فقدهم للصحبة الصالحة ووجود أصدقاء السوء ولذلك يقل فساد بنات الإخوة جداً إذ يسهل على أهلها منعها من الصحبة السيئة بعكس الذكر فكيف يليق بالعاقل أن ينقم رزق الله له بالبنات بعد هذا؟ فإذا أراد الوالد صلاح ابنه فعليه بربطه في المسجد بأطفال ملتزمين في مثل سن ابنه يرافقونه على الطاعة ثم على المعلم والمحفظ لهم أن يحسن ربطهم به وتحبيبهم في المسجد.

أهمية دوام تذكر العبد لسيئاته:

٨- تأملت حال نفسي فوجدتها أحياناً تفرح بعملها وتحدثني بالمنازل العلى في الجنة وأحياناً تستحقر نفسها وعملها حتى أنها لو مرت بأصحاب كبائر ظاهرة قالت هم خير مني أو أنا على الأقصى مثلهم فعجبت لهذا التفاوت البعيد ثم وجدت قلبي يصلح مع استحقار نفسي للعمل ويفسد من استحسانها له فبحثت عن سبب الخير لجلبه وعن سبب الفساد لدفعه فوجدت أنني أفرح بنفسي إذا غابت عني سيئاتي ولم أفعل المعاصي بينما أستحقر نفسي إذا ابتليت بالمعاصي أو استحضرت على الدوام سيئاتي فقلت لنفسي كأن صلاحك ألا تنسي ذنوبك وقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ (الكهف: ٥٧).

٩- وورد عن داود عليه السلام: «أنه نقش خطيئته في كفه ليكثر من النظر إليها» فمن أدمن ذكر سيئاته انكسرت نفسه واستقل عمله.

أهمية حضور دروس المشايخ:

١٠- أجدت باباً من أبواب الفقه ففرحت نفسي وظنت أنها من العلماء في هذا الباب فحضرت درساً فيه لأحد العلماء فقال مسائل لا علم لي بها بل اكتشفت خطأ فهمي في بعض المسائل فانكسرت نفسي وتصاغرت وأدركت أنها لا تعلم شيئا فقلت لنفسي فكأن علاج العجب بالعلم هو حضور دروس المشايخ والعلماء لتعلم النفس قيمتها وحقيقتها ثم حدث أن اكتشفت خطأ فادحاً في هذا الباب لا يكاد يخطأ فيه مبتدؤا طلب هذا العلم فزاد استحقار نفسي لما عندها من علم حتى رأت أنها من الجاهلين فحينئذ أدركت رحمة الله بعبده المسلم إذ يبتليه بالمعاصي والمعايب لينفي عن قلبه الكبر والغرور وقد قال بعض السلف: «رب معصية أو رثت ذلاً فكانت خيراً لكم من طاعة أورثت كبراً».

ابتلاء العبد لا يعني نقص منزلته عند الله:

١١- تفكرت يوماً في إيلاء النبي من نساءه شهراً وكيف أغضبنه وهن أفضل النساء بعد خديجة وفاطمة وما اختارهن الله لرسوله إلا لفضلهن فظهرت لي فائدتان:

أ - أن المرأة الصالحة جداً قد تؤذي زوجها وتغضبه دون عمد منها بل لطبع جبلت عليه أو لخطأ لا تشعر به.

ب- أن الرجل الصالح قد يبتلى بامرأة تغضبه ليصبر ويحتسب فيكون أجراً له وتكفيراً لسيئاته.

لا يوفق الله إلا من علم فيه الخير:

١٢- قرأت أحاديث في الفضائل كحديث: «**من قال دبر كل صلاة مكتوبة سبحان الله ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين والله أكبر**

ثلاثاً وثلاثين وقال المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» رواه مسلم وفي الحديث: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**» وفي الحديث: «**من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بني له بيت في الجنة**» وغيرها فتعجبت وقلت هل لو فعل العبد الموبقات وعمل بهذه الفضائل يدخل الجنة؟؟ فقلت لعل الثواب لمن قرأها بتدبر وإخلاص ولا يتأتى هذا إلا مع ترك الكبائر وهذا معنى صحيح ثم بعد فترة وجدت نفسي تعرف فضائل أعمال كثيرة ولا تعمل بها ربما تكاسلاً وربما نسياناً وكلما عزمت على فعلها عرض لي عارض ولم أفعل فعجبت لذلك كيف حيل بيني وبينها فتذكرت قول الله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ (الأنفال: ٢٤) ثم زال إشكال أحاديث الفضائل وقلت لن يوفق الله لقولها إلا من علم فيه الخير وأنه سيغفر له ويتوب عليه.

فوائد الزواج:

١٣- قرأت عن بعض السلف قوله: «من تزوج لم يفلح» يقصد لم يصل إلى الله فعجبت من تعارض قول هذا الإمام مع قول الرسول: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج**» فتفكرت في الأمر فوجدت أن الزواج مسئولية مع ما فيه من شغل القلب بحقوق الزوجة والإنفاق عليها كما أن دوام نيل العبد للشهوات واللذات في الزواج وغيره قد تقسي القلب ثم صادف أن صليت خلف عارف نحسبه كذلك والله حسيبه حتى قرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ ﴾ (المعارج: ٢٩، ٣٠) فوجدته قرأ: «غير ملومين» بطريقة عجيبة جداً كأني لم أقرأ

هذه الآية من قبل وقلت في نفسي ما باله ركز عليها هكذا فربطت خيوط الموضوع فتوصلت إلى الآتي:

أ - زواج الرجل ونيله حظ نفسه لا يلام عليه لوم نقص فهي سنة الحياة بل لو نوى الرجل بذلك إعفاف نفسه وزوجته ربما كانت له فتوحات إيمانية عظيمة وذلك أن أداء حق الزوجة واجب والقيام والصيام والتسبيح مستحب وثواب الرب وجزاؤه على الواجب أعظم منه على المستحب.

ب- أن ترك الزواج نقص فالرسول قد أمر به وأقل أحواله أن يكون سنة مؤكدة ثم كمال الإيمان ليس في ترك الزواج بل في ترك الإنشغال به عن الطاعة ولذلك في الحديث ذكر الرسول ﷺ من يعجب الله منهم فقال: «**ورجل عنده امرأة جميلة وفراش وثير فقام يتملقني**» وهذه قاعدة مضطردة فليس الزهد أن تترك أكل الطيبات بل الزهد أن تأكل من كل طيب ولا تشبع منه كحال رسولنا فصبر العبد عن الطيب بعد علمه بطيب طعمه يدل على زهده بعكس من لم يذقه أصلا فربما زهد فيه لأنه لم يعرف طعمه وكذلك التوكل ليس في ترك الأسباب بل في بالأخذ بها مع عدم التعلق بها وعدم الاعتماد عليها فهذا كمال التوكل فما أسهل ترك السبب وما أصعب ترك الالتفات إليها مع أخذ العبد بها.

جـ- كمال الأنبياء وكمال رسولنا فالواحد منا يشق عليه مع الزواج ومشاغله أن تكمل معرفته بالله إلا من رحم الله فكيف برسولنا وقد كان عنده تسع فأي رجل كان هو وأي كمال كان كماله ﷺ ؟؟

د- في الزواج عبادات لا توجد في غيره كحسن الخلق والمعاشرة وفي الحديث: «**خيركم خيركم لأهله**» وكذلك في الزواج الصبر على الأذى واحتمال المكروه ومراعاة مشاعر الزوجة بل عمل النسل الصالح في ميزان حسنات الوالدين.

هـ- في الزواج تهذيب للنفس وتأديب لها ـ نعم ـ أباح الله معاشرة الزوجة ولكن حرمه حال الحيض وفي هذا تأديب للنفس فالكمال ليس في منع النفس بالكلية أو إباحة العنان لها بالكلية بل الكمال في الوسطية.

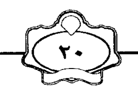
و - ثم في الزواج متاعب يلاقيها الزوج وأكثر منها ما تلقاه الزوجة ففي هذا تذكير لهما بفضل الأبوين كيف تعبا في حملهما وتربيتهما وكم من عاق تاب وأناب بعد ما أنجب.

ي- في الزواج كذلك ظهور لكمال الرجل في قيادته للبيت وإنفاقه وظهور لكمال عقله أو نقصه وظهور لصلاح نفسه أو فسادها فكم من جاهل لما تزوج ظهر جهله بضربه لزوجته وإيذائه لها وتعاليه عليها وإذلاله لها وكم من عاقل لما تزوج ظهر حسن عقله من حسن تودده لزوجه ومشورته لها في شئونه وإكرامه لها وقد قال الحسن عن النساء: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم».

ل - في الزواج كذلك ظهور لحسن التدبير هل يبذر الرجل حتى يفتقر أم يقتصد في نفقته ليكفي نفسه وزوجه؟ هذا بالإضافة إلى ما في الزواج من غض للبصر وحفظ للفرج وتكثير لنسل المسلمين والله المستعان.

ما استفدته من مرضي:

١٤- مرضت مرة مرضاً أقعدني عن الجماعة ولازمت فيه الفراش أياماً فحزنت نفسي لفوات العلم والعبادة فقلت لها لابد للإنسان من بلاء وما فاتك من عبادة إنما هي عبادات بدنية ولك أجرها بالنية بينما أنت الآن في عبادات قلبية ثوابها عظيم ولا تظهر إلا بالاختبار ثم ربما كان مرضك نعمة عليك وعلى غيرك لو تفكرت في فوائده لتذكيرها للمسلمين فتفكري فيها ثم في مرضك فرصة لانشغالك بالذكر الكثير والفكر الطويل اللذين طالما فاتاك بسبب الانشغال بالعلم أثناء الصحة فكان أعظم ما ظهر لي أثناء المرض أمران:



أ - أهمية استغلال الصحة في طاعة الله فكم أهمل المرء من طاعات في وقت الصحة وكم ترك طاعات تكاسلاً فلما مرض ولم يقدر عليها ندم فلو كان فعلها وقت الصحة لأخذ ثوابها وقت المرض ففي الحديث: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً**» فيا عجباً للأصحاء كيف يتركون شكر ما يفعلون من طاعات؟ وكيف يتكاسلون عما يقدرون عليه من طاعات؟

ب- أهمية أعمال القلوب فها هي النفس مع عدم فعلها للنوافل تخشع في صلاتها لانكسار قلبها بالمرض وفي الحديث القدسي: «**مرض عبدي فلان أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده**» فمعية الله لعبده المريض خاصة بينما كانت النفس حال الصحة تفعل النوافل ومع ذلك لم تكن تخشع كحال المرض.

تيسير الله على عباده طلب العلم:

١٥- تفكرت في قلة همم الناس الآن في طلب العلم الشرعي وكذلك في كثرة مشاغلهم والطغيان المادي الذي هو أكثر من ذي قبل فاهتممت لذلك وقلت في نفسي كيف يصلح حال الناس الآن مع هذه الظروف القاسية بل بعضهم يضطر للعمل ليل نهار لينفق على نفسه وولده؟ ومرت الأيام وبلغني أن امرأة فقيرة عندها أربعة من الولد ودخلها الشهري ٤٠ جنيه وتعيش منها فسئلت كيف تكفي ولدها؟ فقالت اشتري لهم الباذنجان وأقليه لهم يأكلونه كل يوم فقلت في نفسي سبحان الله كيف أن غيرها عنده ما يكفيه ثم يطمع في الغنى والزيادة؟ ثم مرت الأيام وبلغني عن بعض الإخوة أنه أثناء عمله يسمع القرآن سواء في أشرطة التسجيل أو الكمبيوتر فخلصت من الأمر بالآتي:

أ - أن كثيراً من الناس غالوا على أنفسهم فطلبوا الكماليات مع وجود ما يكفي حاجتهم بل والله في أمور الزواج غالوا في المهور ومتطلبات البيت من سفرة ونيش ونجف وكذا وكذا مما لا طائل تحته ثم بعد ذلك يشتكون من قلة الرزق وغلاء الأسعار.

ب- أن الله وضع لكل زمان ما يناسبه ووفر لكل قوم ما يعنيهم على الطاعة فقديماً كانت الحياة بسيطة وأما في زماننا فقد تعقدت الأمور فوفر الله لنا الكتب السهلة الميسرة والـ .C.D للكمبيوتر وأشرطة التسجيل بحيث لا تبقى حجة لأحد في تقصيره في طلب العلم فيستطيع طلبه للعلم وهو في المواصلات أو في العمل أو في البيت.

توجيه الله للعباد حتى تستقيم الحياة:

١٦- بلغني عن بعض طلبة الثانوية العامة أنه حصل على مجموع ٩٩٪ وأبى إلا دخول الهندسة مع كون هذا المجموع الكبير يؤهله للطب وبلغني عن آخر أنه حصل على ٩٦٪ فأبى إلا أن يدخل التربية؟!

ووجدت بعض العقلاء جداً لم تتوفر لهم الظروف للتعلم بينما تعلم آخرون أقل عقلاً وذكاءً منهم بكثير ثم تأملت في حال بعض من يعمل كيمكانيكي أو زبال أو كساح «يصلح المجاري» وكيف يحبون عملهم ويقبلون عليه بهمة ونشاط فقلت سبحان الله كأن الله يوجه العباد لتستقيم الحياة فوفر لهذا ظروفاً لا يتمكن معها من التعلم الدراسي ليوفره للمسلمين محفظاً للقرآن متفرغاً له أو كساحاً أو غيرها من الأعمال التي يحتاج الناس إليها حاجة ملحة ثم من تعلموا وجههم لتكميل مهمات ووظائف المسلمين فحبب إلى هذا الصيدلة ولآخر الطب ولثالث الهندسة ولرابع التربية ووجه كلاً لتستقيم الحياة.

فضل الله على عباده وهدايته لهم:

١٧- بلغني عن بعض الأفاضل كلام طيب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝﴾ (الأعلى: ٢، ٣) فأحببت نقله قال رحمه الله معنى الآيات أنه سوى وكمل كل مخلوق على أفضل هيئة وأحسنها وقدر للمخلوقات مهام حياتها وأعمالها ثم هداها لما قدره، وقدر للأشياء مهامها

وهدى المخلوق إلى استعمالها في مهامها فمثلاً الملوخيا كالنعناع في الشكل الخارجي فكيف عرف الإنسان أن النعناع يغلى ويشرب والملوخيا تقطع وتطبخ؟ وكيف عرف أن الكوسة تطبخ وتحشى بالأرز بينما الخيار لا يطبخ هكذا؟ فسبحان الله كيف هدى المخلوقات الي أمور حياتها التفصيلية ثم قلت فهل يتصور تركه لهداية المخلوق إلى أمور دينه التفصيلية؟

هذا لا يكون أبداً فالدين به قوام الحياة في الدنيا والآخرة والله المستعان.

فائدة الاستخارة:

١٨- تأملت حال نفسي فوجدتها كثيرة الندم على فعل أشياء مما سبب لها ولمن يجاورها الضيق فقلت في نفسي ما علاج هذا؟ فتفكرت فوجدت الشرع الحكيم قد شرع لنا الاستخارة قبل الإقدام على أي شئ لئلا يندم المرء بعد الاستخارة بل يستخير الله ويستشير أهل الدين والرأي ثم يقدم على الأمر إن استراح له ولا يندم فالله لا يختار لعبده المؤمن إلا الخير.

حقيقة الزهد والتوكل:

١٩- تأملت في قول بعض الزهاد: «أشتهي أكل كذا منذ سنوات ولم أفعل» مع قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ (المائدة: ٨٨) فقلت لماذا أمر الله بأكل الطيب مع أن المداومة عليه قد تقسي القلب؟ فوجدت فوائد طيبة فأحببت ذكرها:

أ - أن الله كريم والكريم يفرح إذا أحضر أطايب الطعام لضيفانه فأكلوا وشكروا فقلت في نفسي مثل الزاهد الذي لا يأكل الطيبات كمثل رجل كريم صنع وليمة من كل أطايب الطعام ليأكل الناس ويفرحوا ويتمتعوا إذ سعادتهم تفرحه فإذا ببعض الناس يقول لا آكل هذا الطيب لأنه طيب فكيف يكون رأي

الكريم فيه؟ كذلك ربكم كريم فلا ترفضوا دعوته فما خلق لكم الطيبات إلا لتتمتعوا بها وتشكروه عليها.

ب- ليس الزهد ترك الطيب بالكلية إنما الزهد في أخذ الطيب الحلال وعدم الشبع منه ثم في محبة العبد له ابتلاء له هل ينفق منه وهو يحبه ليكون ممن أنفق مما يحب أم تبخل به لنفسه ولا ينفق منه؟.

ج- في تناول العبد لهذه الطيبات تشويق له إلى الجنة فما فيها أطيب وربما لو لم يأكل الطيبات في الدنيا ورآها في الآخرة على نفس شكل ما كان في الدنيا لما كان في قلبه من التعظيم والحب لله مثلما يقوم بقلبه إذا أكلها في الدنيا.

فضل الله على العباد في تسخيره لهم الدواب:

٢١- بلغني عن بعض الأفاضل كلاماً طيباً في قوله تعالى: ﴿ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ (الزخرف: ١٣) فأحببت أن أورده لحسنه قال لولا أن الله سخر لنا الحيوان للركوب لما سهل علينا ركوبه والدليل على هذا الناموسة والبرغوث مع صغرهما يستعصيان على الإنسان ولا يكاد يمسك بهما فكيف بالجمل والحصان والبغل مع كبر أحجامها؟ فلولا تستخيرها لنا ما سهل علينا ركوبها فالفارق إذاً بين البرغوث والجمل أن الله سخر أحدهما دون الآخر ومن حكمة الله أن سخر الكبير دون الصغير لئلا يتكبر العبد إذ أصغر المخلوقات يستعصي عليه وأعظم من ذلك الفيروسات التي لا ترى بالعين المجردة وكثير منها يسبب الوفاة كفيروس الإيدز، فيروس الكبد وغيرهما والله المستعان.

فوائد مرض العبد المؤمن:

٢٢- شكى إلي بعض الأفاضل أنه مرض بمرض أصبح معه لا يكاد يتدبر القرآن ولا يكاد يخشع في صلاته بعد أن كان طويل القيام كثير الصيام بكاء

فحزنت لحاله جداً إذ هو من أعز الناس علي وقلت في نفسي أفبعد أن كاد يصل إلى المعرفة ابتلي بهذا؟ ثم أفهمني الله السر والنكتة فقلت له عليك في مرضك **هذا بالانتباه لأمور:**

أ - أن عبادات القلب من صبر ورجاء وتوكل ورضا لا تظهر إلا بالبلاء وها هو قد ابتليت فالذي يلزمك إن كنت بصيرا بنفسك أن تقول أفوض أمري إليك يا رب ولا أقول لك أزل عني البلاء بل أقول لك اختر لي أنت ما تعلمه خيراً لي فاختيارك لي خير من اختياري لنفسي فإن كان البلاء لي أفضل فلا تزله وإن كان زواله لي أفضل فأزله.

ب- ثم قلت له الجدير بك وأنت ترى نفسك لم تنجح في اختبار الرضا والتوكل والصبر وتشكو إلي الجدير بك أن تسعد باستمرار البلاء حتى تنجح في الاختبار لا أن تتمنى زواله وأنت لم تنجح بعد.

جـ- ثم قلت له لا تستكثر البلاء فلو تفكرت لرأيت نفسك خيراً من غيرك فهل تود أن لو زال مرضك وكنت مجنوناً أو قطعت قدمك بل هل تتمنى أن تعافى وتكون على غير الإسلام؟ فقد رزقك الله بزوجة صالحة وسيارة ومسكن طيب وقد حرم غيرك من هذا فالشاكر هو الذي ينسى البلاء في خضم النعم فلو كان معك مليون جنيهاً وضاع منك مائة فهل تقول ضاع مني مائة؟؟ فكذلك بلاؤك في خضم نعم الله عليك لا يذكر.

كيف يعالج المرء قسوة قلبه:

٢٣- نالت نفسي حظاً من شهوة النفس من حسن مأكل ومشرب وغيرهما فشعرت بنوع قسوة وبعد عن حالة الإيمان فقلت لنفسي ما المخرج وهذه لا ينفك عنها أحد؟ فلم يبق إلا مداواة هذه القسوة بما يضادها فتفكرت فإذا علاج هذه القسوة بالآتي:

أ - كثرة الصيام خاصة في أيام الحر لتنكسر سورة النفس وقوتها.

ب- التفكر في حال الفقراء والمحرومين خاصة بعد نيل الشهوات المباحة وأثناءها لكيلا تقسوا النفس.

جـ- ذكر الموت والتفكر فيه ليلين القلب خاصة بعد نيل الشهوات المباحة.

د- عدم الإسراف والمبالغة في نيل الشهوات المباحة بل يكون المرء معتدلاً.

متى يوفق العبد في الإمامة:

٢٤- أقيمت الصلاة في مسجد وأنا فيه فدعاني أهل المسجد للإمامة فأقدمت بسهولة وأحسست أني أهل للإمامة فدخلت فتلجلجت وأخطأت حتى انكسرت نفسي وندمت وذلت، ودخلت مرة أخرى المسجد وأنا أشعر بأني لا أصلح للإمامة لسوء حالي وفساد أعمالي فلما دخلت للإمامة كنت حزيناً جداً أشعر يقيناً بفساد حالي فوفقت في الإمامة والصلاة أيما توفيق فقلت في نفسي كأن التوفيق يأتي لمن يشعر بأنه لا يستحق شيئاً ويستحقر نفسه لله بعكس من يرى نفسه أهلاً ثم قلت لنفسي حتى يدوم شعورك بالتقصير وعدم صلاحك للإمامة أو للتدريس فلابد من دوام ذكرك للذنوب والخطايا والله المستعان.

الثقة بالله تذهب الهم والقلق:

٢٥- حدثتني نفسي يوما بالمستقبل وقالت قد تأتيك ابتلاءت وأمراض وأضرار فأحسست بالاضطراب والقلق ثم قلت لنفسي لا ينبغي التفكير في المستقبل بل توكلي على الله وثقي في الله فما يقدر الله لعبده المسلم إلا خيراً وفوضي الأمر إلى الله يختر لك ما ينفعك في الدنيا والآخرة فربما كان صلاحك في البلاء وربما كان في العافية فاطمأنت نفسي بذلك فقلت كأن علاج القلق والاضطراب الثقة في الله والتفويض إلى الله في اختياره للعبد.

فائدة تقديم الواجب على المستحب ولو أبت النفس:

٢٦- أمرني أبواي بالذهاب إلى مكان ما لقضاء مصلحة وكان الوقت وقت درس علم أحبه وأحرص عليه منذ سنين فشق علي جداً طاعتهما ولكن قلت في نفسي حضور هذا الدرس مستحب إذ الواجب منه قد درسته على يدي نفس الشيخ العام الماضي ولكن طاعة الوالدين واجبة فلابد من تقديم الواجب فذهبت إلى المصلحة وقلت في نفسي لا يتركني الله أبداً فإما أن يلغى الدرس وإما أن لا يعطي الشيخ شيئاً زائداً عما أعطاه العام الماضي وتوكلت على الله ووثقت فيه فذهبت إلى المصلحة فوجدتها قد قضيت فقلت الحمد لله قد تحقق ظني بالله وكفى بالله وكيلاً ثم ركبت المواصلات لأذهب إلى الدرس فتعطلت المواصلات فقلقت واضطربت نفسي فقلت لها من كان عند ظنك الحسن في الأولى سيكون عند حسن ظنك أيضاً في الثانية فتوكلي عليه فاطمأنت نفسي فصلحت المواصلات وذهبت إلى الدرس والله ما فاتني حتى مقدمة الدرس فأدركت أنه من فعل الواجب من طاعة الوالدين نال الواجب والمستحب ومن ترك الواجب لم ينل لا الواجب ولا المستحب.

وأدركت كذلك أهمية الثقة بالله والتوكل عليه فالمقادير مقدرة قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة فالجزع والاضطراب لا يقدم مقدوراً قبل وقته فلم القلق والاضطراب إذاً؟؟

ما يعين العباد على صيام الأيام شديدة الحر:

٢٨- كنت يوما صائما في الصيف في يوم طويل حار فأتى علي المغرب فقلت لو تأخر المغرب حتى أنتهي من مشاغلي وقرآتي فعجبت كيف لم تشتق نفسي إلى الفطر وتمنت أن لو تأخر المغرب ثم تذكرت أنى صمت يوماً مشابهاً من أعوام ماضية قبل

اهتمامي بقرآة العلم فأتى على العصر فكادت نفسي أن تتقطع من ألم الجوع والعطش فعجبت لاختلاف الموقفين فخلصت بأن الانشغال بالعلم والقراءة والكتابة يشغل النفس عن شهواتها ولذلك كثر زهد العلماء وطلاب العلم وقل زهد العوام ثم عرفت كذلك أن الصيام يشق علينا لانشغالنا بالدنيا وتضييعنا للأوقات بعكس ما لو شغلنا الوقت بالعلم لمر الوقت سريعاً حتى يأتي المغرب فنحزن لفوات قراءة العلم!!

كيف يستفيد طالب العلم من المشاغل:

٢٩- شكى إلي بعض إخواني كثرة انشغاله بقضاء مصالح أسرته ودراسته وعدم تفرغه التام لطلب العلم وكثرت الشكوى من هذا الأمر حتى اشتكت نفسي منه فقلت في نفسي هذه مشاغل لابد منها وطالب العلم معان من الله فتفكري عسى أن تجدي لهذه المشاكل فوائد؟ فرأيت أن هذه المشاغل لو خلي منها العبد لربما جاءه الفتور والكسل لشعوره بسعة الوقت عنده فيضيعه بعكس من شغل بهذه المشاغل فإنه سيعرف قيمة ما تبقى له من وقت فلا يضيعه.

- ثم هذه المشاغل مع عشق المرء للعلم تجعله يأخذ من نومه وراحته للعلم ليعوض ما يضيع في المشاغل فتتعود نفسه على علو الهمة وقلة النوم حتى إذا تفرغ من المشاغل كان جسده قد تعود على قلة الراحة فيتفرغ أكثر وأكثر.

- ثم طالب العلم الذي يعشقه قد تفوته بعض الأوراد والأذكار وبعض التفكر فله في مشاغله أن يشغل الوقت أثناء التنقل والعمل في الذكر والفكر فلربما لو تفرغ للعلم لما أقدم عليهما.

- ثم في المشاكل والمشاغل اصطدام بالحياة ومتاعبها مما يصقل عقل المرء والعلم يحتاج إلى ذكاء وخبرة وصقل معرفة فسبحان الله الحكيم الخبير.

- وربما نجح طالب العلم في طلبه على أكمل وجه مع هذه المشاغل فيكون حجة على من لم يشغل ومع ذلك لم يطلب العلم.

ما يهون مشاكل الحياة على المؤمن:

٣٠- مررت بمشاكل دنيوية بسبب خوضي في نظام اجتماعي جديد فضاقت نفسي وتوترت أعصابها وضاع وقت العلم حتى لم أدر ماذا أفعل فكانت كلما أتت مشكلة تفرغت نفسي بهمتها من أجل حلها في أسرع وقت وإن لم تفعل مع هذا سوى الفرائض ظناً منها أن المشاكل ستنتهي بحل هذه المشكلة فكانت كلما انتهت واحدة نشأت أخرى كأنها سلسلة متصلة لا تنقطع فقلت لها وكأنك ستظلين على هذا الحال وتتركين ما يجب أن تشغلي به؟ ثم حملك للهموم تسبب في سوء أخلاقك من العصبية الزائدة وسرعة الغضب والانفعال وربما أخطأت في الآخرين أفتظنين كل من يقع في مشاكل الحياة تسوء أخلاقه مثلك هكذا؟ أم تريدين حياة من غير مشاكل؟ فإذا عرفت ذلك فلابد أن تجدي حلاً لما أنت فيه من سوء حال فتفكرت فخلصت بالآتي:

أ - أن المشاكل نعمة في الحقيقة للعبد المؤمن إذ بها يكتشف أخلاقه وطباعه الحسنة والسيئة فهل هو ذو طيش وعجلة وسرعة انفعال وقلة توكل أم هو بضد ذلك وما كانت هذه الأخلاق والأعمال القلبية لتظهر إلا بالاختبار فأيهما أفضل للعبد أن تكون له مشاكل يعرف بها إيمانه أم يلقى الله غداً وهو يظن نفسه على حال وهو على غيره؟؟

ب- ثم مع كثرة المشاكل فرصة للنجاح في اختبار الأخلاق والأعمال القلبية فربما فشل العبد في المشاكل الأولى فعنده مستعتب في المشاكل الثانية فلم الحزن من كثرة المشاكل؟

جـ- ثم قلت لنفسي مشاكل الدنيا وإن كبرت هينة سهلة وما أجمل اللفظ النبوي إذ يعبر عن هذه الحقيقة بقوله: «**من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً في**

الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة» ولم يقل: «من كرب الدنيا والآخرة» كما قال: «**ستره في الدنيا والآخرة**» قال العلماء لأن كرب الدنيا هينة بالنسبة للآخرة فهي كلا كرب أصلاً فقلت لنفسي وإنما يعظمها عليك أنك تظنين عند مجئ المشاكل السهلة أنك قادرة على حلها وعند مجيء الصعبة تيأسين من حلها فأخطأت في الأولى والثانية أما الأولى فقد كان الواجب عليك التوكل على الله فمهما ملك العبد من أسباب القوة على حل المشاكل فلابد من إعانة الله له وإلا كان الخذلان وأما الثانية فلعدم توكلك على الله في إزالة الهموم فلا يأس من رحمة الله فكأن المشاكل اختبار عملي للتوكل على الله.

د- فعند ذلك قالت لي نفسي إذاً أدعوا الله بالمشاكل وأتمناها! فقلت لها نهينا عن تمني البلاء وربما ظننت أنك قادرة على التوكل فلا تستطيعين ففوضي الأمر إلى الله واطلبي منه الخير لك فلو كان الخير والإيمان في وجود المشاكل فهو المطلوب وإن كان الخير والإيمان في زوال المشاكل فهو المطلوب وما أجمل ما قاله الحسن بن على رضي الله عنهما : «لا أفضل الفقر على الغنى ولا المرض على والصحة ولا الموت على الحياة ولكن أقول أحبها إلي أحبها إلى ربي» فليكن لسان حالك: «وأفوض أمري إلى الله» فلو تدبرت هذا والله وعملت به ما كان هناك ضيق ولا غيره فالرضا والتفويض هو أساس صلاح القلب والنفوس فإن أردت الكمال ففوضي أمرك إلى الله قبل وقوع القضاء وارضي بما اختاره الله لك بعد وقوع القضاء.

هـ- ثم حمدت الله أن أفهمني هذا وحمدته كذلك على المشاكل فما كانت هذه الحقائق لأعرفها لولا تقدير الله للمشاكل.

فوائد ابتلاء العبد بالعيوب:

٣١- تأملت في عيوبي فوجدت عيوباً تزول سريعاً بالأخذ بأسباب زوالها وعيوباً أخرى منذ سنين لا تزول فساءني ذلك جداً لكثرة محاولتي لزوال العيب

مع عدم زواله بل بعضها أريد الأخذ بأسباب زواله فلا أستطيع ثم لفت نظري وجود هذا الأمر في كثير من الملتزمين فتفكرت في الأمر ففهمت الآتي:

أ - وجود هذه العيوب التي لا تزول والتي قد لا يجد العبد أحياناً الاستطاعة لممارسة أسباب زوالها يفسره قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ (الأنفال: ٢٤) وفي هذا تخويف للنفس فالذي منعها من محاولة إزالة العيب ربما منعها من الإيمان بعد فالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ب- ثم في عدم زوال العيب مدعاة للتوكل على الله بعد اليأس من النفس فكمال التوكل في الحقيقة لا يأتي إلا بعد اليأس من النفس وكم كانت النفس تظن أنها قد قدرت على إزالة العيب فيأتيها ثانية ففي هذا مدعاة ليأس العبد من نفسه وتوكله على الله.

جـ- ثم في هذا العيب كسر لعجب النفس وصولتها وجولتها ومنها بالطاعة فها هو عيبها الملازم لها لا تستطيع تركه.

د- ثم في هذا العيب فوائد فمع دوام وجوده ستعلم النفس ما هي أسبابه التي تدعوا إلى وجوده وما هي كيفية التخلص منه وربما كان صاحب العيب عاقلاً فطناً فيعرف ذلك ويعلمه للناس فربما لو ابتلي غيره ممن ليس في عقله لما استفاد الناس.

فوائد مداومة العبد على العمل الصالح وإن قل:

٣٢- تأملت في نفسي فوجدتها قد سهل عليها القيام بطاعات مستحبة بينما طاعات أخرى أكثر فضلاً منها لا تفعلها إلا قليلاً ثم تأملت قلبي عند ترك المداوم عليها فوجدته يحزن جداً ويشعر وكأنه قد عصى الله بينما لو داوم على ترك التي لا يفعلها إلا قليلاً لما شعر بشئ مع أنها أكثر فضلاً وأهمية من التي داومت عليها

فانقدح في نفسي معنى جديد لحديث: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**» وحديث: «**أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه**» وهو أن العبد مأمور بالمداومة على عمله المستحب حتى إذا فقده شعر بالحزن لفقده فاستغفر من ترك هذا العمل تعويضاً لما فاته فيكون دائم الشعور بالتقصير إذ ما من سنة إلا وتفوت فاعلها أحيانا فإذا صار حال العبد هكذا كان من المحسنين الذين يستغفرون لترك المستحبات بعكس ما لو لم يداوم على المستحبات فإنه لا يكاد يشعر بالحزن لفواتها فربما سهل عليه بعد تركها بالكلية وربما أدى به الأمر إلى ترك الفرائض فإن سلسلة التهاون لا تنتهي وكم من رجل تكاسل عن سنة واستهان بتركها فآل به الأمر إلى ترك الواجب فسبحان المشرع الحكيم.

أهمية تقديم مراد الرب على مراد النفس:

٣٣- سألني أخ عما إذا أمره أبواه بالعمل ساعات ما أكثر من ساعات عمله وهو لا يريد ذلك بحجة التفرغ للعلم والدعوة فذكرني ذلك بأسئلة إخوة آخرين عما لو طالبهم الآباء بترك الصيام في أيام التطوع فقلت في نفسي جواب النفس صم وتفرغ للعلم والدعوة وجواب الشرع أطع أباك في ترك المستحب فقالت لي نفسي فكيف بحزن القلب لفوات الطاعة وأين ما فات من ثمرة الطاعة؟ فأعادت نفسي النظر فاستفادت ما يلي:

أ - أن الصيام أو القيام حظ النفس ومرادها وطاعة الوالدين مراد الرب فمن أطاع مراد الرب فهو العابد حقاً ومن أطاع مراد النفس فقد أطاع هواه.

ب- ثم المتحجج بترك العمل من أجل الدعوة والعلم لا يخلو من حاليين: إما أن يكون لا وقت لديه للتعلم الواجب والدعوة الواجبة سوى هذه الساعات الزائدة عن عمله فهذا لا يترك الدعوة والعلم وإما أن يكون لديه وقت آخر ولكنه يتكاسل فيه وهذا هو الغالب فنقول له أطع أباك وليس الكسل عذراً في ترك طاعة

الوالد ولو كانت لديك همة ومحبة للعلم لاستغللت كل ما لديك من وقت فراغ فيه ولربما أخذت من نومك بل شعورك بالتقصير في طلب العلم بسبب ما قضيت من عمل سيرفع همتك ويباعد عنك الكسل والفتور ولربما لو عصيت أباك لما وفقك الله للعلم فليس العلم عن كثرة القرآة والتعلم للمسائل وإنما هو بإفهام الله لعبده وتوفيقه فكم من أناس تركوا واجبات بحجة طلب العلم فأضاعوا الواجب وما طلبوا العلم.

جـ- ثم تقوى المسلم في عمله دعوة أيما دعوة فهو في عمله يستطيع دعوة من معه بسهولة بعكس ما لو بعد عنهم فالمهندس التقي في عمله يمنع الرشوة والسحت ويمنع الغش في البناء وهذه دعوة وكذلك الصيدلي لا يبيع المحرم وينصح المتبرجات والمدخنين ويرفق بالفقراء فلا يأخذ منهم الثمن كاملاً فلو ترك هؤلاء العمل فمن سيقوم بهذه المهام الدعوية غيرهم؟

د- ثم في هذا تعليم للنفس أن تعمل ما يريده الرب وإن لم تجد فيه سعادة لتتعود على طلب رضا الله بالطاعة لا طلب سعادة النفس وقس على هذا فلو أقيمت الصلاة والمرء خارج المسجد فالنفس تحب الإسراع جداً حتى تدرك التكبيرة والرب يريد الطمأنينة ولو فاتت التكبيرة ـ نعم ـ ما أصعب هذا على النفوس التي تعودت على إدراك تكبيرة الإحرام ولكن هذا هو الاختبار الحقيقي لحقيقة الإيمان والاستسلام في قلب العبد لله رب العالمين.

ضرورة الاستقامة وخطورة التهاون:

٣٤- نصحت طالباً في الثانوية العامة بالمحافظة على صلاة الفجر فقال أنا الآن مشغول ولما أنتهي من الثانوية أتفرغ أكثر وأحافظ على الصلاة فلما دخل الكلية التي أراد ما حافظ على الصلاة وتأملت في حال طالب آخر كان محافظاً على الصلوات والأوراد في الإعدادية فلما دخل الثانوية ما قصر فيها حتى أيام

الامتحانات فلما دخل الكلية كان على نفس هذا الحال الطيب فقلت هي والله المبادئ التي من استقام عليها استقام ولو عرض له من الظروف والمصاعب ما عرض ومن لم يحافظ عليها ضيعها ولو كان في رخاء من الحال وتأمل قول علي لأصحابه عن ذكر النوم: «يسبح ثلاثاً وثلاثين ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويكبر أربعاً وثلاثين قال ما تركتها قط فقالوا له ولا ليلة صفين؟ قال لا ولا في ليلة صفين» فانظروا إليه ما تركها أبداً وهكذا تكون المبادئ لا تترك.

ولذلك أنصح كل من يريد طاعة الله وكل مرب للأشبال والصغار أنصحه أن يقيم فيهم المبادئ ويعلمهم أن صاحب المبدئ لا يتعب ولا يشقى بل يكيف ظروفه لتوافق مبدئه بعكس المتساهل فإنه يتلون كل يوم على مبدأ وفكرة وأنصحهم كذلك ألا يتركوا مبدأهم لأي سبب فإن الصعاب لا تزول ولا تنتهي في الحياة فمن أوهم نفسه أنه سيترك مبدأه في هذه المشكلة وبعدها سيستقيم فهو جاهل معاند لا يعرف حقيقة الأمر والله المستعان.

كيف يتخلص المرء من الغضب:

٣٥- تأملت في أخطائي في حقوق الآخرين فوجدت سببها سرعة الغضب مع عدم إمساك اللسان عن الكلام الذي لا يليق فقلت لنفسي لابد من التخلص من هذين العيبين الخطيرين خاصة وقد حثت السنة على هذا ففي الحديث قال رجل أوصني يا رسول الله قال: «**لا تغضب**» وفي حديث آخر: «**أمسك عليك لسانك**» وفي حديث ثالث: «**وإياك ومما يعتذر منه**» فقلت لها علاج سرعة الغضب أن يبعد العبد نفسه عن أسباب الغضب فإذا وجد العبد المشكلة قد ظهرت والأصوات قد ارتفعت والأعصاب قد توترت فليذهب فليتوضأ وليصل وليذكر الله وليستغفر ثم لو أراد حل المشكلة بعد فليفعل وأما كثرة الكلام فعلاجه في كثرة ذكر الله وتعويد العبد نفسه على الحلم فلا يسرع في مشيه وسلوكه وهديه لتتعود

نفسه على الاطمئنان فإذا اطمأنت النفس تحكمت في لسانها وانفعالاتها والله المستعان ثم في معرفة العبد لفضل الصمت والحلم وسوء كثرة الكلام والغضب سبب أيضاً لفعل الخير وترك الشر ثم في التزام العبد بالواجبات والسنن عموماً واهتمامه بقلة الطعام إبعاد له كذلك عن كثرة الكلام والغضب والله الموفق.

أهمية العمل بالعلم:

٣٦- تأملت حال كثيرين من طلبة العلم ممن قرأ الكثير ولكن لم يظهر لهم صيت بين الناس ولم ينتفع بعلمهم بينما آخرون قلت قرآتهم ولكنهم وصلوا في العلم إلى منزلة عالية وفهم ثاقب وبارك الله لهم فانتفع الناس بهم فقلت في نفسي ما السبب؟ فوجدت أن الأولين لم يعملوا بعلمهم فكان أحدهم يراه الناس يلتفت في صلاته كالطفل الصغير لا يكاد يخشع في صلاته ولا يكاد يقول أذكاره فطلب وطلب من العلم وما انتفع هو ولا الناس بينما الآخرين عملوا بعلمهم واستفاضت عبادتهم فأفهمهم الله المسائل وتحقق فيهم قول الله: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ (الأنبياء: ٧٩) ويشهد الله كم من مسائل تكلم فيها العلماء بمئات الصفحات فجاء من بعدهم من طلبة العلم فلخصوا المسألة في سطور فكان كلامهم أنفع من مئات الصفحات وكم من شيخ داعية قل نصيبه من القراءة وكثر فهمه واستنباطه والله هو العليم يعلم من يشاء ويسهل على من يشاء ويغلق المسائل على من يشاء.

نصائح لطلبة العلم:

٣٧- تأملت حال طالب علم فأعجبني ما هو فيه من علم مع أنه قليل القراءة وكان يقول قلما أحفظ المسائل فعجبنا من حاله فبحثت عن طلبه للعلم فإذا به تميز بأشياء فأحببت ذكرها لأنتفع بها أنا وإخواني المسلمون وهي ما يلي:

أ - كثرة حضوره لدروس المشايخ المنهجية فربما حضر درس الشيخ حتى يكمل الكتاب ثم يحضره ثانية وثالثة وقد جربت بنفسي هذه الطريقة فاستفدت جداً من المرة الثانية والثالثة أكثر من الأولى ثم تعلمت التواضع والشعور الدائم بالحاجة إلى علم المشايخ حفظهم الله وبارك للأمة فيهم.

ب- المداومة على الدروس ولو كانت قليلة وعدم الانقطاع أو اليأس.

جـ- شرح هذه الدروس للناس فقد كان على ما رأيناه ربما أعطى في اليوم ثلاثة دروس وكان يقول ما حفظت المسائل إلا من كثرة شرحها فربما ما سمعها لنفسه قط وكان يحفظها والله أكثر ممن يسمعها وقد قيل: «العلم يزكوا بالإنفاق» وربما قال: «ما تعلمت نصف المسائل إلا بعد شرحها للناس» وقد جربت ذلك بنفسي فكثير من المسائل ما فهمتها حتى شرحتها للناس وناقشتها معهم.

د- العمل بالعلم وعدم الإخلال بالأوراد والأذكار.

هـ- أنه كان لا يقرأ إلا بعد استشارة المشايخ ينصحونه بترتيب معين فليس العبرة بالقراءة ولكن العبرة بالذي تقرأه فالعمر قليل والكتب كثيرة والعلم بحر واسع فلابد من ترتيب الأولويات.

كيف تثمر العمرة الإيمان في قلوبنا:

٣٧- تأملت حال السلف عند الاعتمار فكان أحدهم يسافر شهوراً ويعود شهوراً ويقضي هناك يومين أو ثلاثا وربما ساعات العمرة ثم يعود بينما نحن نسافر في يومين وربما في ساعات وكذلك في العودة ونمكث هناك أياماً وأسابيع وربما شهوراً ولكن صلاح قلوبهم بالعمرة كان أفضل منا بكثير فعجبت لذلك وقلت ما السبب؟ فأرجعت السبب إلى عدة أمور:

أ - أن السلف كانوا يشعرون بمشقة الرحلة وبقصر وقت الإقامة فكانوا يستغلون كل دقيقة وكل ثانية في طاعة الله بينما نحن نجد الوقت أمامنا واسعا فنتكاسل عن استغلاله.

ب- أن العبرة في الأعمال البدنية بما يقوم في قلوب العباد من إيمانيات وتأملات لا بمجرد الصورة الظاهرة والفارق بيننا وبين السلف في هذه المعاني أكبر مما بين السماء والأرض.

جـ- أن تكلف الناس في زماننا في أنواع المآكل والمشارب والملابس أبعدهم عن مقصود العمرة بينما زهد السلف وقلة ذات اليد عندهم وبساطة أمورهم أوصلهم أكثر إلى معاني العمرة الإيمانية.

كيف يثمر الاعتكاف الإيمان في قلوبنا:

٣٩- تأملت في اعتكافنا واعتكاف السلف فوجدتهم بعد الاعتكاف يقومون الليل في شوال وما بعده بينما نحن في الغالب لسنا كذلك فعجبت في نفسي لماذا أثر فيهم الاعتكاف ولم يؤثر فينا فأرجعت هذا إلى أسباب:

أ - أنهم كانوا يقومون الليل قبل رمضان فاستمروا بعد رمضان بينما نحن لا نقوم إلا في رمضان فما استقام لنا قيام بعد رمضان.

ب- أنهم كانوا في اعتكافهم يهتمون بكثرة القراءة والتعود على التدبر سواء مع القارئ أو لما يقرأون هم مع أنفسهم بينما نكتفي نحن في اعتكافنا بقراءة القارئ ونقضي النهار في النوم ثم لا نتدبر مع قراءة القارئ وهذا هو أكبر سبب لضياع كثير من فوائد الاعتكاف ولذلك نقول للمعتكف لابد أن تجعل لنفسك ورداً يومياً تقرأ فيه بتدبر ولو قل مقدار قراءتك ولو قمت من الليل غير ما قامه الإمام فربما ترك الإمام وقتاً بلا قيام فليستغله المعتكف خاصة وأن القرآن ميسر في رمضان أكثر من غيره وأثره في القلب في رمضان أكثر من غيره.

خطأ من يهتم بصلاح بالناس على حساب صلاح نفسه:

٤٠- تأملت حال مشايخ للدعوة فوجدت بعضهم تفرغ لتعليم الناس والبذل لهم ففتح الله عليه بالفهوم والعلوم وبعضهم تفرغ لنفسه وما بقي عنها أعطاه للناس فكان إيمانه وصلاحه فيما يظهر لي أكثر فقلت لنفسي أي الطريقتين أفضل؟ فقالت لي خيرهما عند الله فقلت خيرهما ما يكون صلاحي وإيماني فيه أكثر فها هو أويس القرني لم ينفع الأمة بأي علم وهو أفضل من سعيد بن المسيب بنص النبي ﷺ مع كون سعيد بن المسيب نقل للأمة مئات السنن والأحاديث!! فلابد من اهتمام المرء بصلاح نفسه أكثر من اهتمامه بصلاح الناس فأولى النفوس بخيرك نفسك خاصة لو كان في أمر الدين فليس من الإيثار أن تفضل التزام الناس على التزامك ولكن من وجد قلبه يصلح أكثر مع مخالطة الناس لتعليمهم أو وجد أنه لو تفرغ لنفسه لكسل ولم يصنع شيئاً فخلطته بالناس أولى بلا شك ولعل هذا هو فصل الخطاب في هذه المسألة والله المستعان.

وليس معنى هذا ترك تعليم الناس وتحفيظهم القرآن ودعوتهم إلى الله فهذه واجبات لا تصلح النفس بدونها ولكن المقصود عدم المبالغة وعدم الإكثار من خلطة الناس بحيث ينسى الإنسان نفسه ويهمل في حق تعبدها لله وتعلمها للدين.

حكمة الله في توجيه طلاب العلم إلى العلوم المختلفة:

٤١- تأملت حال طلبة العلم فإذا بأحدهم يسعى في علوم القرآن ويجتهد فيها وبعضهم يسعى في علم المصطلح ويسعى فيه وبعضهم في علم الفقه وبعضهم في السيرة لا يردهم عن حبهم لهذا الباب راد فقلت سبحان الله وجه عباده إلى العلوم المختلفة ليكمل حال الأمة فإنه يصعب جداً على الواحد أن يبلغ الكمال المتاح في كل باب من أبواب العلم خاصة وأن العلوم كلها محتاج إليها وبالأخص فروض الكفايات.

وكمال العلم في الباب ينال بكمال التفرغ وهذا أمر مشاهد فوجه الله كل عبد لمحبة باب معين من العلم ليتفرغ له.

تنبيهان:

من الخطأ أن يتفرغ المرء للعلم المستحب أو لفروض الكفايات قبل تحصيله لفروض العين من فقه التوحيد وفقه العبادات والمعاملات التي يحتاجها.

من الخطأ كذلك أن يجد العبد في نفسه حباً لعلم ما ويرى أنه لو تفرغ له لأفلح ثم إذا به لا يخلص له ولا يتفرغ له بل يقرأ أشياء أخر مما لا يتعلق بهذا العلم فيضيع مجهوداً كان بذله للعلم الذي يحبه أولى.

كيف يعالج المؤمن كسله عن الطاعات؟

٤٢- ذهبت مرة إلى المسجد وقبل أن أخرج من بيتي كسلت نفسي عن الذهاب إلى المسجد وهي على وضوء ثم قالت لي المسجد بعيد والخطوات كثيرة وذنوبي كثيرة فأحتاج إلى مثل هذا فعجبت لها كيف بادرت برضا تام إلى الوضوء بينما كنت أجدها في مرات أخر سابقة لا تكاد تتوضأ إلا وهي راغمة فبحثت عن السبب فوجدت نفسي في هذه المرة التي بادرت فيها بالوضوء كانت مستحضرة لذنوبها متفكرة فيها بينما المرة الأولى كانت ناسية لها غافلة عنها فقلت لنفسي كأن استذكار الذنوب واستحضارها هو سبب كل خير وطاعة وعلى العكس من ذلك لو نسي العبد ذنوبه.

الاتعاظ بحال أهل القبور:

٤٣- زرت مرة المقابر فتذكرت قول بعض السلف: «أصبحتم في أمنية كثير من الناس» يقصد أن الموتى يتمنون حياة يوم أو ساعة ليعوضوا ما فاتهم من طاعة

الله فنظرت في حال الناس فإذا كثير منهم في غفلة يمضي قدماً في فعل المعاصي والمباحات ولا يدري لعل اليوم أو غداً هو يوم وفاته ولكن صدق قول الله فيهم: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (مريم: ٣٩) ثم تذكرت كيف أن العبد يستطيع اليوم أن يتوب ويستغفر وينيب ولكن أهل القبور انقطعت أعمالهم فنحن في دار عمل بلا حساب وهم في دار حساب بلا عمل وما أجمل ما قاله بعض السلف: «أهل القبور يعلمون ولا يستطيعون العمل وأنتم تستطيعون العمل ولكن لا تعلمون».

فوائد قصر الأمل:

٤٤- حدثت نفسي وقلت لها هبي أنك تموتين الليلة فماذا ستفعلين؟ فوجدتها تستغفر وتراجع سيئاتها وتندم عليها وتدعوا لمن أخطأت في حقه من البشر وتقرأ القرآن وتصلي وإذا بها زاهدة في شهوات الدنيا حتى في المباح منها فعجبت لعملها وقلت لو أنك كل ليلة تستحضرين هذا الأمر لكان عملك على غير ما أنت عليه الآن! وقد قال النبي ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**» وقال ابن عمر لمجاهد: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح» ولنعم النصيحة والله هي لو داوم العباد عليها وكانت إحدى العابدات إذا أصبحت قالت: «هذا آخر أيامي وإذا أمست قالت هذه آخر ليلة فظلت هكذا حتى ماتت».

فقه السلف في إصلاح النفس:

٤٥- أعجبني جداً فقه السلف رحمهم الله في طباع النفس فأحببت أن أذكر قصة من قصصهم لعلاج مشكلة كبرى وهي مشكلة الشوق والتطلع إلى الشهوات فعن بعض السلف أنه خرج بتلاميذه إلى صحراء فعطشوا فقال لهم نشرب من أول بئر نجده فلما وصلوا إلى بئر قال نشرب من الثاني فساروا حتى إذا وصلوا إليه

قال من الثالث حتى إذا وصلوا إليه قال من الرابع حتى إذا أتوه شربوا فقال لهم هكذا نقطع الدنيا يقصد رحمه الله أمرين :

أ - أن العبد إذا وجد نفسه تتطلع إلى شيء من الدنيا صبرها بأنها ستجده وتتنعم به في الآخرة فإذا بالنفس تصبر بعكس ما لو شعرت بالحرمان لربما تطلعت إليه.

ب - كذلك يقصد أن العبد إذا قطع تعلق نفسه بالشهوات المكروهة والمحرمة فلا يشعرها بالحرمان منه فالممنوع مرغوب ولكن يشعرها بالتعالي عليها وأنها دناءة يتعالى عنها أهل الكمال فإذا بها تتركها بلا كلفة ولا ترجع إليها بعكس ما لو شعرت بالحرمان منها لنازعت إليها منازعة شديدة ولا يكاد يستقيم لها حال.

أهمية مصاحبة ورؤية العارفين:

٤٦- حضرت مرة خطبة لبعض العارفين فبكى في الخطبة والصلاة فحزنت على نفسي كيف لم تصل بعد إلى حاله ثم في نفس المكان قابلت عارفاً آخر على وجهه حلاوة الإيمان فطار قلبي شوقاً إلى طريقهم ومثل حالهم فعرفت فائدة مجالسة الصالحين ومخالطتهم وصحبتهم فهي لا تدعوا إلا إلى الخير بعكس صحبة العبد لأهل الغفلة وبعده عن أهل الصلاح فهي لا تأتي إلا بالغفلة فعلى من يريد صلاح نفسه أن يصحب من هو أفضل منه ليزداد إيمانه ولا يصحب من هو أقل منه لئلا يقل إيمانه.

الاهتمام بامتحان الآخرة:

٤٧- تأملت حال نفسي أيام امتحانات الكلية فإذا بها تسهر حتى الفجر تذاكر وربما ذهبت إلى الامتحان وقت الظهر وهي لم تنم بعد إلا ساعة أو بعض ساعة بل لو نامت بالليل لقلقت بعد قليل وربما رأت في المنام الامتحان وأنها لم تحضره فقلت لنفسي هكذا كان حال طالبي النجاح في امتحان الآخرة فقد كان السلف لا

ينامون إلا قليلاً وكان أحدهم إذا نام رأى النار أو الجنة في منامه وكان أحدهم لا يكاد يفتر عن العبادة فهم مع اجتهادهم في العبادة يخافون ويقلقون لشعورهم بالتقصير كما يفعل طالب الكلية فقلت لنفسي لو أنك تفعلين هذا في امتحان الآخرة.. ولكن وصول العبد إلى درجة الخوف والقلق من عذاب الله لا يأتى إلا مع مداومة العمل الصالح وإدمان تخويف النفس وتفكرها في تقصيرها في طاعة الله والله الموفق أولاً وآخراً.

فوائد حرمان العبد من الطاعة:

٤٨- قال ابن الجوزي: «تأملت قول سحنون لسفيان إذا دعوت الله بشيء فمنعك إياه فلا تجزع ولتعلم أنه اختار لك فوالله ما منعك بخلاً ولا عجزاً» قال ابن الجوزي: «فتأملته فوجدته لطيفاً جداً» قلت وهذا في أمور الدنيا واضح ولكن قد يشكل فهم هذا على من يدعوا الله بفعل طاعة ما أو ترك معصية ما ولا يوفقه الله فهل في هذا خير؟ والجواب نعم قد يكون في هذا خير فربما ظن العبد أنه قادر على فعل الطاعة بقدرته وربما أعجب بنفسه أنه ترك كذا وكذا من المعاصي فمنعه وحرمانه دواء للعجب وسبب لكمال التوكل على الله فلا حول عن المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بالله ثم في هذا إذلال للنفس وإشعار لها بالتقصير بل وتأخر الإجابة سبب لكثرة الدعاء والإلحاح والله يحب هذا ويثيب عليه.

أهمية مجاهدة العبد لنفسه في الصلاة:

٤٩- صليت مرة العصر جماعة فشعرت بعد الصلاة أنى لم أكد أخشع فيها فجذب انتباهي شيئان:

أ - أنى شعرت في هذه الصلاة بالذات أنى لم أخشع مع كوني لا أخشع في صلوات كثيرة.

ب - أني لما صليت جعلت أبحث في نفسي عن سنن أصليها بعد العصر لأعوض نقص صلاتي فلم أجد سوى ركعتي دخول البيت فلما دخلت بيتي صليتها لحرصي الشديد على إيجاد سنة مع كون نفسي هي التي كثيراً ما كانت تفعل الرواتب إلا وهي راغمة فتفكرت في الأمر وخلصت بالآتي :

أ- أما شعوري في هذه الصلاة بالذات بعدم الخشوع فذلك لأني اجتهدت فيها قدر طاقتي وحاولت الخشوع بينما الصلوات الأخرى لم أشعر فيها بالتقصير لأني لم أحاول أصلا فقلت لنفسي إذاً أول طريق الخشوع المحاولة والاجتهاد والتوفيق بيد الله.

ب - وأما بحثي عن نوافل لأعوض نقص الفريضة فما نشأ إلا لشعوري بالتقصير فقلت لنفسي كأن شعورك بالتقصير هو الذي سيؤدي بك إلى مزيد الاجتهاد في طاعة الله دون ملل أو فتور بعكس ما لو شعرت بعدم التقصير فالكسل والفتور حليفان لك.

ما يعين العبد على حسن الخلق:

٥٠ - تأملت حال نفسي عندما تكون مطمئنة بذكر الله قارئة للقرآن مكثرة من الصلاة إذا بها لا تكاد تغضب بل تصفح وتحلم ولا تبالي بخطأ الآخرين في حقها بينما وجدتها إذا بعدت عن هذه العبادات الإيمانية تكون سريعة الغضب والانفعال فظهر لي أمران :

أ - أن قول النبي ﷺ : «**لا تغضب**» هو الحقيقة أمر بالطاعات والذكر والتعلق بالله إذ هو أساس حلم النفس واطمئنانها وعدم غضبها.

ب- دقة قول النبي ﷺ : «**إن حسن الخلق ليبلغ بالعبد درجة الصائم القائم**» فهذا الخلق الحسن صعب إلا على من يسره الله عليه وإلا فالنفس الغافلة عن الذكر والطاعة لا تكاد تستقيم على حسن الخلق فحسن خلق العبد علامة في الحقيقة على حسن عبادته لله وما أجمل ما قاله الشيخ ياسر برهامي : «حسن

الخلق مع العباد والإحسان إليهم لا يصدر إلا ممن أحسن العبادة لله لأن إحسان العبادة لله يشعر النفس بالاطمئنان والغنى بالله والأنس به والتعلق به فلا يسيء المرء الخلق إذ سوء الخلق إنما يصدر بسبب شعور النفس بالفقر إلى الناس والحاجة إليهم» انتهى كلامه حفظه الله.

أهمية الدعاء:

٥١- تفكرت في الدعاء وأهميته وقد قال الرسول ﷺ: «**ما من مسلم يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إلا أعطاه الله بكل مؤمن حسنة**» فعجبت لهذا الثواب ولكني مع التأمل وجدت في الدعاء ما يبرر هذا ويفسره:

أ - ففي الدعاء اعتقاد بسمع الله وعلم الله وقدرة الله ورحمة الله فلولا اعتقاد المؤمن بقدرة الله على تحقيق ما طلبه منه لما سأله ولذلك كلما قويت ثقة العبد بالله وتوكله عليه كلما سأله أعظم الأشياء وأصعبها سواء كانت من أمور الدنيا أو الآخرة وفي الحديث: «**إذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس الأعلى**».

ب - كذلك هذا الدعاء دليل على حب الخير للمسلمين فهذا الذي يدعوا بالمغفرة للمسلمين لو استحضر حب الخير لهم وطلب السعادة لهم لقام بقلبه من الإيمان ما لا يقوم بغير هذا العمل.

جـ - كذلك في الدعاء للمؤمنين علامة على حسن الخلق وحسن الطباع وأن الداعي لا طمع عنده ولا أنانية وهذه أخلاق الكمال وفي الحديث: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**».

تنبيه:

«يستحب للمسلم تعاهد إخوانه ليعرف مشاكلهم والصعاب التي يمرون بها فيساعدهم على حلها ويدعوا لهم بزوالها ويشاركهم أحزانهم وأفراحهم وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

فضل إسكان المسلم لأخيه:

٥٢- تأملت حديث: «**من أجن مسلماً في قبر أجري عليه أجره كأنما أسكنه مسكناً إلى يوم القيامة**» فقلت فكيف بمن أسكن أخاه الحي في مسكن ووهبه له أو آجره له بأجرة زهيدة؟؟ وإذا كان هذا ثواب سكنى الميت فكيف بثواب سكنى الحي؟؟ بل كيف بثواب أب أسكن ابنه في شقة تؤيه هو وزوجته فكأني بهؤلاء الآباء يأخذون ثواب سكنى نفسين ثم لو قدر للزوجين أولاد لأخذ ثواب سكنى الأولاد كذلك ... فأهمس في آذان آباء معهم أموال ويبخلون على أولادهم بالسكن بحجة أنهم يريدون أولادهم عصاميين مثلهم.. فأقول لهم لو تستحضرون هذا الثواب لما بخلتم أبداً على أبناءكم.

اليقين في وعد الله ورسوله:

٥٣- قال لي بعض الصالحين نحسبه كذلك والله حسيبه قال لي إذا رأيت محتاجاً فتصدق عليه بما يحتاجه وسأعطيك ما تصدقت به فرأيت نفسي كلما وجدت محتاجاً تصدقت عليه بلا بخل ولا كسل وهي تقول سيعطيني هذا الصالح ما تصدقت به فقلت لها أتصدقين وعد الغني من البشر.. فكيف بوعد الغني رب البشر؟؟ ألم يعدك مكان الصدقة عطاء وفي الحديث: «**ما نقص مال من صدقة**» فيا ليتني ويا ليت إخواني المسلمين يصدقون بوعد الله ولا يبخلون بالصدقات ...

ادعوا للمشايخ ولإخوانكم المسلمين:

٥٤- تأملت ما ورد عن الإمام أحمد أنه كتب ورقة فيها أسماء أناس صالحين يدعو لهم كل ليلة منهم الشافعي وغيره فقلت يا ليتني ويا ليت إخواني يفعلون مثله نقوم في الليل وبين الأذان والإقامة ندعو لمشايخنا مشايخ الدعوة بارك الله فيهم وحفظهم للمسلمين ندعو لهم بالصحة والعافية ليبذلوا للإسلام وندعوا بأن

يبارك الله لهم في أوقاتهم فكم أخذوا من أوقات أولادهم وزوجاتهم كل ذلك من أجل التزامنا والتزام الناس ومن أجل تعليمنا وتعليم أناس.. وكم قضوا الأوقات يقرأون ويبحثون عن العلم حتى يكفوا الناس ويفتوهم فيما يجد لهم من مسائل ففضلهم علينا أكثر من فضل الآباء والأمهات فالوالدين سبب وجود بدننا وحياته وهم بفضل الله سبب حياة قلوبنا وأرواحنا بالإيمان.

ثم ندعوا كذلك للمسلمين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها وندعوا للمظلومين من المسلمين في كل مكان فذلك والله سبب صلاح القلب أيما صلاح بل هو كذلك سبب عدم قسوة القلب بالشهوات فالقلب الغافل عن مشاكل المسلمين قد يقسوا بالشهوات المباحة بينما القلب الذاكر للمسلمين لا يقسوا بإذن الله ولو نال مباح الشهوات.

الفارق بين المؤمن وغيره في أمر الزواج:

٥٥- ناقشني أحد الإخوة في مشاكل زوجية وقعت له وضاق بها ذرعا كأنما قامت الدنيا ولم تقعد وتكرر هذا كأنه علق قلبه بمحبة الزواج كأنــه لا يعيش إلا من أجل هذا ويتحسر لفواته فقلت له ألا تستحي من نفسك... المسلمون يقتلون في مشارق الأرض ومغربها والمظلومون منهم لا ينتهي عددهم وأنت تفكر في هذا وتجعل من فواته فواتاً لكل شيء ومن مكسبه مكسباً لكل شيء... فكأنما والله جليت عن نفسه وشعر كأنما زالت المشاكل ثم قال إذاً يستحب عدم الزواج وعدم طلبه وقت ابتلاء المسلمين؟؟ فقلت كلا.. بالطبع .. بل قد يجب على من خاف على نفسه العنت ولكن الفارق بينك وبين غيرك أمران:

أ- أنك تطلب من الزواج إنشاء الذرية الصالحة التي تقود الأمة بالكتاب والسنة وتحل مشاكل المسلمين فزواجك حل لهذه المشاكل لو أخذت بأسباب صلاح الذرية والله المستعان.

ب- أنك عندما تنال مباح شهواتك تكون مستحضراً لحال المسلمين المحرومين والمستضعفين والمظلومين فتنال نفسك سعادة غير مطغية وهذه هي المعادلة الصعبة ولكنها يسيرة على من يسرها الله عليه أعني تمتع المؤمن بمباح الشهوات مع عدم طغيان قلبه فزوال قسوة القلب بالشهوات يتحقق بدوام استحضار حال إخوانه فإذا به يشكر على النعمة التي حرمها الآخرون ولا يقسوا قلبه ولا ينافي هذا سعادة قلبه بل ربما كانت سعادته أكمل وأعلى من سعادة الآخرين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

معاني طيبة في أذكار الصباح والمساء:

٥٦- سمعت من الشيخ ياسر برهامي كلاماً طيباً فأحببت نقله قال فضيلته: «حث الشرع على الذكر وقتي الصبح والعصر ورغب في أذكار الصباح والمساء ولعل من حكم ذلك أن هذين الوقتين هما أول النهار وآخره فكما مر يوم المرء سريعاً كذلك تمر حياته فها هي بدأت ثم تنقضي سريعاً فابن آدم أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضه وإذا ذهب البعض أوشك الجميع على الانقضاء فعلى المؤمن استحضار هذا المعنى صباحاً ومساءً».

ما يصبر العبد على بلاء الحبس في سبيل الله:

٥٧- تأملت حال أناس سجنوا في الله أياماً والبعض شهوراً والبعض سنة والبعض سنين فقلت في نفسي ما الذي يعين على الصبر على هذا البلاء فتفكرت فوجدت أناساً سافروا للعمل في خارج بلادهم وتركوا الأهل والولد فبعضهم سافر أياماً وبعضهم شهوراً والبعض مكث في أمريكا خمس سنين دون أن يرجع إلى بلده حتى يحصل على بعض التأشيرات فقلت لنفسي سبحان الله كيف صبر هؤلاء على الغربة من أجل ما يحصلون من الدنيا أفليس من

حبس عن أهله في الله أولى بالصبر؟ وإذا كان أهل الدنيا يصبرهم ما يحصلون من مال وما يأملون من مستقبل سعيد فأهل الآخرة أولى بذلك فثوابهم لا يقدره إلا الله فقالت لي نفسي إذاً ما الذي يصعب الحبس على النفس وما علاجه؟ فقلت لها عدة أمور:

أ - شعور النفس بالحرمان فإذا بها تتطلع إلى الحرية فعلى العبد المحبوس أن يعلم بأن الدنيا دار بلاء أفيود لو كان معافى وهو على غير الالتزام؟ ثم ليعلم بأن البلاء له وقت سيزول فيه ولو طالت مدته فعليه أن يلجأ إلى الله طالباً منه العون على الصبر والرضا.

ب- القلق على الأهل فعلى المحبوس أن يعلم بأن الله أرحم بأهله منه وليعلم كذلك بأن الله أرحم به من أهله فثواب البلاء أفضل لهم فليدع المحبوس ربه بأن يلهم أهله الصبر والرضا وليعلم أهله بأن الله مع المحبوس يحوطه ويحفظه ومن كان الله معه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلا داع للقلق والاضطراب.

جـ- الشعور بالملل فعلى المحبوس أن يشغل وقته بالعبادات التي قد فرط فيها أو فاتته رغماً عنه وهو غير محبوس من أذكار وصلوات وقرآن فالوقت لن يكفيه لمجرد التعويض فكيف يمل؟ وليعلم بأن الله معه يعينه ويثبته والله المستعان.

٥٨- تأملت ما ورد عن بعض السلف أنه مر براهب يتعبد في صومعته وقد اعتزل الناس وسكن في صومعته فقال له ما الذي يصبرك على هذا؟ فقال له أقم معي ليلة لتعلم فأقام معه فوجد الناس يأتونه من كل مكان يتبركون به ويعظمونه فقال الراهب للرجل الصالح هذا الذي يصبرني فقلت أفليس من كان على الحق وسجن في الله أولى به أن يصبره ما سيكون له من مكانة عند الله وعند الناس فأهل البلاء أئمة عند الله وعند الخلق إذا صبروا وأيقنوا قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٧٣) وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ ﴾ (النحل: ٤١) فحسنة الدنيا ثناء الناس ومحبتهم له وتعظيمهم لأمره وهذا حاصل لكل من حبس في الله إذ له نصيب من الهجرة في الله ولله.



الفصل الرابع:

تأملات في آيات قرآنية:

١ - تأملت فعل عمر رضي الله عنه إذ جمع أصحابه وسألهم عن هذه الآية: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ (البقرة: ٢٦٦).

وقلت لم اهتم بها عمر هكذا فإذا بها أشد آيه مخوفة في كتاب الله وذلك لأمور أذكرها بعد ذكر معنى الآية.

معنى الآية:

«لو عمل العبد الصالحات لانتفع بها هو وذريته من بعده سواء تصدق أو عمل أي عمل صالح آخر بل الكون كله يستفيد منه كالحديقة والبستان ينتفع منها الطير والحيوان والإنسان كما ينتفع بها صاحب أو البستان وورثته فإذا منّ العبد وراءى أتته أعاصير الإفساد لعمله فيضيع ثواب عمله ويضيع هو وذريته من بعده».

المخوفات في الآية:

أ - قوله تعالى: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي كما أن الجنة فيها من كل الثمرات كذلك هذا الرجل كان يعمل طاعات كثيرة متنوعة ومع ذلك

ختم له بسوء الخاتمة بسبب منه في الصدقة فكيف بمن ليس له إلا طاعة واحدة أو طاعات قليلة؟

ب - قوله: ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يدل على أنه ذاق حلاوة الطاعة وقطف من ثمارها فإذا كانت هذه نهاية حاله وقد ذاق من حلاوة الطاعة فكيف بمن هو مبتدئ لم يذقها بعد؟

جـ - قوله: ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ ﴾ ولم يقل: «أعاصير فيها نيران» فكأن آفة المن وحدها وآفة الرياء وحدها وآفة الأذى وحدها كافية لسوء الخاتمة فكيف لو اجتمعت الآفات كلها؟

د - قوله: ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾: أي حبط العمل كله وهذا لا يكون إلا في المشرك فهو الذي يحبط عمله كله بعكس العاصي فإنه لا يحبط ثواب العمل الذي أخلص فيه من قبل.

والله لو كان التهديد بأن يموت على كبائر بسبب رياءه ومنه لكانت مخوفة.. فكيف وهو مهدد بالكفر...

هـ - قوله: ﴿ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ يدل على أنه عمل السوء ثم لم يتمكن من فعل الخير بعدها فختم له به كهذا الذي كبر ولم يستطع تعويض ما فات.

و- قوله: ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ احتراقها يدل على تلفها تلفاً لا صلاح معه فالرياح فقط قد تأخذ الشجر والنخل وتلقيه بعيداً وربما زرع في أراض أخرى بعد فانتفع به أما هذا فقد احترق فكأنه لن يسلم بعد ردته إذ المرتد قد يموت على الإسلام ولكن هذا مات على كفره...

فسبحان الله كم فيها من تخويف وتهديد.. فجدير بعمر أن يجمع لها الصحابة.

٢- تأملت في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٥) فوجدت فيها كنوزاً من معان الإيمان فأحببت ذكرها ولكني أذكرها بعد ذكر معنى الآية:

معنى الآية:

مثل المتصدق المؤمن كمثل حديقة على ربوة مرتفعة فارتفاع الحديقة هو ارتفاع عمله فالصدقة عمل صالح رفيع ثم الربوة عرضة لكل خير من نزول المطر الوابل الذي ينبت معه نبت كثير أو نزول الطل الذي ينبت معه الثمر القليل وذلك على حسب قلب العبد فمن تصدق بحب وسعادة فمثله كمثل الوابل ومن تصدق ونفسه تلومه وهي كارهة ولكنه أطاع الله وإن كرهت نفسه فمثله كمثل صاحب الطل.

معان الإيمان:

أ - قوله «تثبيتاً من أنفسهم» ولم يقل «لأنفسهم» لأن العبد قد يتصدق ليثبت على الإيمان بسبب الصدقة ونفسه كارهة لذلك لم يقل «لأنفسهم» بل قال «من أنفسهم» ليدل على أنه فعل صادر من أنفس راضية غير كارهة.

ب — قوله: «تثبيتا من أنفسهم» ولم يقل «ثباتاً من أنفسهم» وذلك لأن العبد قد ينفق المال ونفسه ثابتة لا تجزع كالعاص بن وائل وحاتم الطائي وغيرهما من كرماء العرب ولكنه لا يحتسب الثواب عند الله فقوله «تثبيتاً» يدل على أنه خائف يطلب الثبات من الله بصدقته فهو يبتغي وجه الله ويخاف الحساب.

جـ - في هذا المثل دليل على كون الصدقة بثبات نفس من أكبر أسباب حسن الخاتمة فيا أيها الخائفون من سوء الخاتمة ويا أيها العلماء المشفقون... ويا أيها الزهاد المتعبدون أمامكم جميعا باب الصدقة ومن كان منكم فقيراً بالمال فلا يبخل بصدقة العلم والله المستعان.

٣ - تأملت قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾ (البقرة: ٢٥٦) فوجدتها من الآيات العظيمة لتوضيح نجاة العبد بالإسلام وهلاكه بغيره من الأديان فالعروة الوثقى هي الحبل النازل من عروة موثقة جيداً كحبل موثق على حديدة قوية ينزل منها طرف إلى أسفل فكما أن الذي في أسفل البئر أو أسفل الجبل لا يصعد إلى الأعلى إلا بالعروة الوثقى فكذلك لا ينجوا العبد من سفل المعاصي والإشراك إلا بلا إله إلا الله فهي العروة الوثقى ولما كان الخوف أن تكون العروة غير قوية فيقع الممسك بها أخبر سبحانه أن العروة وثقى لا تنقصم ولا تنقطع بمن أمسك بها ولكن ليحذر من أمسك بها أن يتركها ويرتد فإنه مقتول لو فعل ذلك كما أنه من ترك العروة بعد إمساكها وقع وهلك.

٤- تأملت قوله عز وجل: ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (البقرة: ٢٤٥) فقلت لنفسي لم قال «يقرض الله ولم يقل يقرض الناس»؟

فتأملت فإذا فيها معان عظيمة فأحببت ذكرها:

أ - أنه لو افتقر غني واستقرض الناس وكان هذا الغني مشهوراً جداً لتسارع الناس إلى إقراضه بلا تردد لينالوا الشرف وليقولوا في يوم ما أقرضنا فلاناً فقيل للمتصدق إذا تصدقت فكأنك أقرضت الغني سبحانه فسارع لتنال الشرف.

ب- إذا أحب العبد أخاً له في الله واحتاج إلى المال فإنه يقرضه بلا تردد بل سيقول له لن آخذ منك شيئاً فقيل للمؤمنين من كان منكم يزعم محبة الله فليقرضه ولا ينتظر رد المال ثانية أي ليتصدق بالمال أو ليهب القرض لأخيه ولا يأخذه ثانية.

جـ- إذا أقرض العبد غيره فإنه يخاف أن يكون المقترض غنياً مماطلاً أو فقيراً لا يجد ما يسد به فقيل له أقرض ربك فهو غني كريم.

٥- تأملت قول الله: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ ﴾ (البقرة: ٢٦٤) فوجدت فيه معاني عظيمة فأحببت ذكرها:

أ - الصفوان هو الحجر الأملس الكبير إلا أن التراب عليه غطى حقيقته حتى ظنه الناظر أنه أرض صالحة للنبات فلما نزل المطر الشديد ظن الناس أنها ستنبت كما هي عادة الأرض الطيبة عند نزول المطر خاصة وأن المطر كثير ولكن حقيقة الحجر ظهرت بانكشاف التراب عن حجر أملس لا يصلح للنبات كذلك العمل الصالح لو راءى به صاحبه فإنه يظهر على صورة صالحة ولكن الله يكشف حقيقته ولو بعد حين ويبقى قلب المرائي كالحجر الأملس لا إيمان فيه إذ أرض قلبه غير صالحة لنبات الإيمان فيها.

ب- وكما أن وضع البذرة والتربة الصالحة لا يكفي للنبات بل لابد من نزول المطر من عند الله فكذلك العمل الصالح وإخلاص صاحبه إنما هو بذر ولابد من نزول مطر الهداية والقبول من عند الله حتى ينبت الإيمان في قلب العبد.

جـ- ويلاحظ أن الله أزال التراب لتظهر حقيقة القلب ولم يكتف بعدم إنبات الزرع فليحذر المنافق المراءي أن يفضح بين الناس فضلاً عن عدم انتفاعه بعمله.

٦- تأملت قول أيوب: ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٣) فوجدت فيه معاني بديعة فأحببت ذكرها:

أ - أنه قال: «رب» ولم يقل «إلهي» كأنه يقول أنت خلقتني ورزقتني وتقضي لي حوائجي وهذه من حوائجي فاقضها لي.

ب- أنه قال «وأنت أرحم الراحمين» وهي أعجب ما في الآية ولها احتمالان:

- أنه قصد أنت أرحم بي من كل أحد حتى من أبواي فلو كان الشفاء بيد أبواي لما منعاني منه وأنت أرحم بي منهما فاشفني وأخبر بعض الإخوة أنه كان إذا نزل به مأزق يقول لو كان الأمر بيد أبواي لخلصاني وأنت ربي وأرحم بي منهما فكان يزول بلاؤه بإذن الله.

- ويحتمل أنه قصد أني لا أسألك شكاً في رحمتك فأنت أرحم الراحمين ولكني أسألك طلباً للصحة حتى أستطيع العبادة.

٧- تأملت قوله تعالى عن يونس: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (الأنبياء: ٨٧) مع قول الرسول: «**ما من مسلم يدعوا بها إلا استجاب الله له**» فرأيت في هذا الدعاء شروط التوبة والإنابة إذ نزول البلاء سببه الذنوب ورفعه بالتوبة فمن صدق في توبته ودعا بهذا الدعاء زال بلاؤه بإذن الله فتأمل قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ فهو يتضمن التوحيد إذ المعصية سببها اتباع الهوى كأن العاصي يقول لم أفعل المعصية شركاً وتفضيلاً للهوى عليك يا رب ولكنها زلة ولذلك كانت كلمة «لا إله إلا الله» تتضمن الاستغفار لهذا المعنى وفي الحديث: «**ما من عبد يقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت له ذنوبه**» (رواه الترمذي وصححه الألباني) وذلك أن القائل لهذا الدعاء بقوله: «لا إله إلا الله» ينفي احتمال جعل الهوى إلهاً وبقوله: «الله أكبر» يكون قد اعترف بأن الله أكبر من الهوى والشهوات في قلب التائب وأما قوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله» فهو

إخبار بأنه عازم على ترك المعصية ولكن لابد من إعانة الله له فهو ما وقع في المعصية السابقة إلا بترك إعانة الله له.

ثم تأمل قول يونس «سبحانك» كأنه ينزه الله عن أن يكون قد عظم الهوى والشهوات أكثر من تعظيمه لربه ثم تأمل قوله «كنت» يدل على أنه عازم على عدم العودة إليه ثم قوله «من الظالمين» كأنه يقول أنا من عداد عبادك الذين ظلموا أنفسهم وغفرت لهم فاغفر لي كما غفرت لهم ولذلك لم يقل «ظالماً».

٨- تأملت قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ (النور: ٤٣) ثم قال بعدها: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ (النور: ٤٤) ثم قال بعدها: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ﴾ (النور: ٤٥) فرأيت عليها أنواراً من الهدايات فتأملت فإذا هي سورة النور فما أعظمها من آيات وما أنفع سورة النور لمن طلب المعارف والله المستعان:

- يخبر سبحانه أنه يزجي سحاباً أي يسوقه سوقاً رفيقاً حيث شاء ثم يضمه بعضاً إلى بعض ثم يجعله متراكماً بعضه على بعض ثم ينزل المطر من خلاله كذلك ينزل الله من قطع عظيمة في السماء تشبه الجبال ينزل منها البرد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فكذلك الهداية تأتي إلى قلب العبد شيئاً فشيئاً وتجتمع شيئاً فشيئاً حتى تجتمع معاني الإيمان في قلب العبد المؤمن وتستقر ثم يدعوا غيره إلى الإيمان هكذا حال بعض الناس وبعضهم تأتيه الهداية من الله دفعة واحدة فتصيب

قلبه كالبرد الذي ينزل مرة واحدة فيكاد حاله يبهر الناس كيف اهتدى مرة واحدة وكيف تغير حاله هكذا أما الأول فبشائر تغيره كانت ظاهرة فالتزامه واكتماله كان على فترات فلم يكن مستغرباً بعكس الثاني فإن قال قائل فما فائدة وجود العاصي إذاً؟ قيل له العاصي والمؤمن كالليل والنهار فالعامل بالنهار إن لم يجد ليلاً يستريح فيه تعسر عليه العمل بالنهار فوجود الليل هام لحسن العمل في النهار وكذلك وجود العاصي هام للمؤمن وإلا فمن سيدعوا المؤمن ومن ينصح إذا لم يوجد عصاة؟ ومن سيجاهد ومن سيبغض في الله إن لم يوجد عصاه؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار! ثم وجود التنوع ليس مستغرباً لتظهر قدرة الله وحكمته فها هي الدواب تتنوع فمنها من يمشي على بطنه ومنها من يمشي على رجلين ومنها من يمشي على أربع ثم مع هذا التنوع ربما تغير حال الطائع إلى المعصية وربما تغير حال العاصي إلى الطاعة كتقلب الليل والنهار فسبحان من هذا كلامه.

٩- تأملت قوله عز وجل: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ (الرعد: ١٧) فرأيت فيه مثلاً من أعظم أمثلة القرآن إن لم يكن أعظمها وفيه يشبه الحق سبحانه الهداية التي تنزل على القلوب بالماء النازل من السماء إلى الأودية فكما أن الماء لا غنى لمخلوق عنه كذلك لا غنى لأحد عن الهداية وكما أن الأودية لا تحمل من الماء إلا قدر اتساعها كذلك القلوب لا تتلقى من الهداية إلا على قدر سعتها فلو قل نصيب هداية عبد فليس لقلة الهداية وإنما لقلة سعة قلبه هو عن حمل الهداية ثم يبين الله مثلين لما يعارض هذه الهداية ويمنع الناس من طلبها وذلك أمران:

١- الباطل الذي يعلو الحق أحياناً فهو سبب امتناع كثير من الناس عن الالتزام فضرب له الحق مثلاً بالزبد من رغاء وقش يعلو الماء ثم يلقيه الماء عن ظهره ووجه التشابه من أوجه:

أ - كما أن الزبد إذا علا الماء لم يرد كثير من الناس هذا الماء ليشربوا منه وإنما يرده أهل البصيرة لينفوا عنه القش ويشربوا الماء الزلال فإذا صفا ورده الجميع كذلك حال الباطل مع الحق الآن فإنه لما علا الباطل لم يرد ماء الحق إلا أهل البصيرة ينفون عنه الباطل فإذا صفا الحق اتبعه الجميع.

ب - أن السيل هو الذي يحمل الزبد فوق متنه ليلقيه على الشاطئ كذلك الحق هو الذي يحمل الباطل فوقه ليلقيه عن ظهره فلم يعل الباطل بنفسه بل قيض الله له أسباب علو ليفضحه ويفضح أهله ويصفوا الحق بعد.

جـ - أن زبد البحر تزداد قوته كلما اقترب من الشاطئ وكذلك الباطل تزداد قوته كلما اقترب من فنائه وانعدامه فأبشروا والله خيراً يا أهل الإيمان.

د - أن الزبد لا قيمة له ولا وزن له إنما المهم الماء كذلك الباطل لا وزن له والحق هو الذي له البقاء.

٢- وأما المانع الثاني فهو فتنة واختبار أهل الحق الذين اختاروا طريق الحق حيث يبتليهم الله ليمحصهم فيعرض الناس عن طريقهم خشية الفتنة والبلاء فضرب له الحق مثلاً بإدخال الذهب والفضة أو المعادن التي ينتفع الناس بها في النار ووجه التشابه من أوجه:

أ - مالك الحلية أو الحديد هو الذي يدخله النار لينقيه كذلك الله مالككم هو الذي يدخلكم نار الابتلاء لتخرجوا على أحسن حال فلا تنظروا عند نزول البلاء إلى من جرى على يديه بل انظروا إلى اختيار ربكم فالبشر آله والرب يقدر البلاء على أيديهم لمصلحتكم.

ب - أن المعدن الذي يدخل النار كلما أحميت عليه الحرارة كلما خرج أنقى كذلك المؤمن كلما زاد عليه البلاء كلما هذبت نفسه وزاد ثوابه.

جـ - أن الذهب والفضة والمعادن التي فيه متاع الناس لا يستغني عنها الناس وقيمتهن عظيمة عند الناس كذلك الدعاة خاصة من يبتلى منهم هم أعلى الناس قدراً عند الناس كما هم عند ربهم.

د - أن صاحب المعادن لا يدخل النار من المعادن إلا ما يرجى نفعه وخيره كذلك الله لا يبتلي من عباده إلا الأمثل فالأمثل والله أعلم.

١٠- تأملت قوله عز وجل: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الحجر: ٨٨) وحديث: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**» ورأيت كثرة تشبيه المؤمن بالطائر فتفكرت في وجه التشابه بينهما فتبين لي الآتي:

أ - الطير رقيقة كما أن قلب المؤمن رفيق رحيم رقيق.

ب - الطير يخرج من العش ولا رزق فيه ويخرج وهو أخمص البطن ولا يعلم من أين يأتيه الرزق ومع ذلك يتوكل على الله ولا يجزع وكذلك المؤمن المتوكل حقاً خاصةً وهو يستطيع تحصيل الكسب بنفسه والابتكار في أسبابه فإنه يتوكل على الله ولو انعدمت كل أسباب الرزق.

جـ - أن الطير لا يحمل هم الرزق كذلك المؤمن الكامل في إيمانه لا يحمل هم الرزق فهو بيد الله.

د - الطائر في الغالب يكون في علوه ولا ينزل إلى الأرض إلا ليأخذ حاجته كذلك المؤمن قلبه معلق بالآخرة لا ينزل إلى الدنيا إلا ليأخذ حاجته منها ثم يصعد إلى السماء.

هـ - أن الطائر آمن ما يكون وهو في السماء فإذا نزل إلى الأرض سهل صيده كذلك المؤمن إذا كان قلبه متعلقاً بالآخرة كان أبعد ما يكون عن الشيطان فإذا تعلق بالدنيا سهل على الشيطان صيده.

١١- تأملت قوله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (التوبة: ١٢٣) فقلت لم أمر المؤمنون بالجهاد والشدة على الكفار؟ خاصةً وأنه قد عاب الكفار على الإسلام مشروعية الجهاد فتفكرت في أمر الجهاد في الإسلام فإذا به من مزايا الإسلام الكبار التي لو يعلمها الكفار لما عابوا الإسلام.

الحكم العظيمة في مشروعية الجهاد: هذه الفريضة اعتاد المستشرقون أن يتخذوها سلماً للطعن في الإسلام ووصفه بأنه دين الوحشية والإرهاب فقام بعض المسلمين الجاهلين بالرد عن الإسلام بقولهم ما شرع لنا الجهاد إلا دفاعاً عن النفس أما جهاد الطلب من الذهاب إلى البلاد لنشر الإسلام فيها فلم يشرع لنا وظن أنه بذلك سيدافع عنا أو سيرفع المسبة عن ديننا!! ويكفي في الرد على هؤلاء إجماع العلماء على خلاف قولهم وكذلك يرد عليهم قوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ (التوبة: ٣٦) وقوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ وقوله ﷺ: «**اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله**» وهو عام في كل الكفار وقوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ (التوبة: ٢٩) وهو عام أيضاً ولعل هؤلاء المسلمين لو علموا ما في هذه العبادة والفريضة من حكم لتفاخروا بهذه الفريضة بدلاً من أن يتحرجوا منها، وقبل أن أذكر حكم هذه العبادة أذكر أن الحقيقة شاهدة بكون هؤلاء الكفار هم الإرهابيون فالتاريخ يشهد بأن عدد قتلى الكفار في كل المعارك التي خاضها المسلمون في الجهاد لا يقارنون أصلاً بكم المسلمين الذين قتلهم التتار لما دخلوا بغداد أو الذين قتلهم الكفار الأوروبيون وغيرهم في بلاد المسلمين وانظر إلي هؤلاء الكفار لا يبيحون للمسلمين قتل الكفار في سبيل نشر الحق ونشر المبادئ الربانية

السامية ويبيحون لأنفسهم قتل الأطفال والنساء والعزل من المسلمين في سبيل الدنيا أو كراهية منهم لمسمى الإسلام!! فهل هذه هي العدالة التي يزعمونها؟!

حكم الجهاد: لما كان كثير من الكفار لا يعرفون حقيقة الإسلام بل ربما بلغهم عن الإسلام كلام مزيف وصورة شائنة أمر الله المسلمين بدعوتهم إلى الإسلام فإن رفضوا قبوله فرضت عليهم الجزية يدفعونها عن ذلة وصغار فإن رفضوا قوتلوا ففي الجهاد أربعة أمور:

١ - مسلمون مأمورون بالجهاد.

٢ - دعوة الكفار إلى الإسلام.

٣ - جزية يدفعها الكفار.

٤ - قتال للكفار وفي كل واحدة من هذه الأربع شرع الإسلام أحكاماً في غاية العظمة.

١ - **المسلمون المأمورون بالجهاد**: الجهاد يقتضي ترك الوطن وترك المال وترك الأهل وربما أدى إلى الموت ... فانظروا أيها الكفار من أجل مصلحتكم ومن أجل دعوتكم إلى الحق وهدايتكم أمر المسلمون بترك المال والوطن والأهل ... من أجل ما تعيشون فيه من الظلمات والجهل والضلال شرع الجهاد.

ألم يقل قائل منكم: «سأمت الحياة وما فيها»؟؟ ألم تعلموا ما ذكرتموه في إحصائية بكون أكبر نسبة انتحار في العالم في دولكم وأكثرها دولة السويد التي فيها أعلى نسبة دخل للفرد في العالم؟؟ ألم يقل مستشرقون منكم ما أحوج الغرب إلى تعاليم الإسلام وسعادة المسلمين؟؟ ألم تقل امرأة منكم يا ليتني كنت امرأة شرقية عربية؟ ألم يقل أغنى ممثل منكم كنت ميتاً وما حييت إلا بعدما أسلمت؟؟ من أجل ذلك كله أمر المسلمون فرضاً عليهم بالذهاب إليكم لدعوتكم؟ كان كافياً والله أن تتركوا دون دعوة وما في قلوبكم من فطرة تدعوا إلى الإسلام وما في نفوسكم من غم وحزن يدعوان إلى طلب السعادة الحقيقية كان

ذلك كافياً في محاسبتكم على غرار هذا ولكن مع هذا شرع الله الجهاد أفتلومون الإسلام على أن فرض من أجل مصلحتكم على المسلمين ترك الديار والمال؟ ولكن لما كان الأمر شاقاً على نفوس المسلمين قيل للمجاهدين ماذا تريدون ولماذا شق عليكم الجهاد؟ فإن قالوا من لأهلنا وولدنا؟ قيل لهم سنقول للمسلمين: «**من خلف مجاهداً في أهله بخير كان كمن جاهد**» ـ حديث صحيح ـ وسنحذر المسلمين من حرماتكم في غيابكم وسنقول لهم: «**من خان مجاهداً في أهله أوقف له يوم القيامة وقيل له خذ من حسناته ما شئت فهل ترونه تاركاً له شيئاً**» ـ حديث صحيح ـ فإن قال المجاهدون من لمالنا ومن يتكسب لنا؟ قيل لهم سنبيح لكم أخذ الغنائم والمكاسب من الجهاد تعويضاً لكم مع أننا حرمنا هذا على من كان قبلكم، فإن قال المجاهدون نحب الحياة ونكره الموت؟ قيل لهم لا تخافوا فالشهيد ليس بميت والشهادة لا تقدم الموت فمن قتل منكم في الجهاد كان سيموت في نفس الوقت في بلده على فراشه فأيها أفضل أن يقتل مجاهداً أم يموت على فراشه؟ فإن قال المجاهدون نخشى ألم القتل والجراح؟ قيل لهم: «**لا يجد الشهيد من ألم الموت إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**» ـ حديث صحيح ـ بينما سكرات الموت على الميت جبال من الآلام وقد قال علي بن أبي طالب: «سكرات الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف» فإن قال المجاهدون لنا ذنوب نريد التوبة منها؟ قيل لهم يغفر للشهيد مع أول قطرة من دمه "فإن قالوا نخشى وعثاء السفر وصعوبة الانتقال؟ قيل لهم مع كل خطوة حسنات وتكفير للسيئات والحياة كلها تعب سواء في سفركم أو في إقامتكم ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾ (البلد: ٤).

٢- **دعوة الكفار إلى الإسلام:** فإذا وصل المسلمون إلى بلد الكفار لم يقاتلوهم بل يدعوهم أولاً إلى الإسلام كما في الحديث: «**فادعهم إلى الإسلام**

فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فأسألهم الجزية فإن أعطوها فأقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم» ـ صحيح ـ وذلك أن غرض الجهاد نشر حكم الإسلام العظيم على البلاد فكم من معاملات فاسدة يتعامل بها الكفار وكم من ضياع للأموال والحقوق عندهم؟ وكم من سرقة وقتل وزنا عندهم؟ فمن أجل إسعادهم بأحكام الإسلام شرع الجهاد ومن قرأ الفقه الإسلامي وعرف الأحكام العظيمة صدق ما أقول.

٣- **جزية يدفعها الكفار:** ويدفعونها عن ذلة ويفرض عليهم ملبس معين وشكل معين للشعر ولا يمكنون من أعمال معينة كل ذلك ليشعروا بالذلة ـ لا ـ لأن الإسلام دين التكبر والجبروت .... ولكن لأن النفس مجبولة على محبة العزة فعسى أن تدعوا هذه الذلة الكفار إلى دخول الإسلام ولو من أجل العزة فإذا دخلوه وذاقوا حلاوته حمدوا الله على دخولهم فيه ... وكم من رجل دخل في الإسلام كارهاً فكان فارساً مجاهداً بعد فهذا أبو سفيان دخل كارهاً فإذا به يثبت يوم الردة ويقول لقريش هو وسهيل بن عمرو: «كنتم آخر الناس دخولاً في الدين فلا تكونوا أول الناس خروجاً منه فظلوا على دينهم» وها هو يثبت يوم حنين لما فر كثير من الناس من حول رسول الله ... وها هو عكرمة بن أبي جهل يدخل كارهاً فيموت يوم يموت شهيداً في معركة اليرموك وغيرهم كثير وفي الحديث الصحيح: «**أنتم خير الناس للناس تقودنهم في السلاسل إلى الجنة**» أي تدخلونهم الإسلام وهم كارهون فإذا بهم يذوقون حلاوته فيستقر في قلوبهم.

٤- **قتال الكفار:** فإن أبى الكفار كل ذلك قوتلت القوة الغاشمة الظالمة التي تمنع الحق بلا سبب أما الشيوخ والنساء الذين لا يقاتلون ولا يخططون في الحرب وكذلك الأطفال فلا قتل لهم ومثلهم المتعبد في صومعته الذي لا هم له إلا التعبد مع أنه على باطل إلا أنه لا يقتل بل الذين يقاتلون ليس الغرض قتلهم بل الغرض كسر شوكتهم التي تمنع وصول المسلمين إلى تطبيق شرع الله فلو تم هذا الغرض لم يقتل

الباقي بل يخير الإمام فيهم إما أن يقتلهم لو خاف من تجمعهم مرة ثانية على المسلمين وإما أن يفاديهم بأسرى للمسلمين وإما أن يأسرهم فإن أسرهم هم والنساء والأطفال أمر المسلمون بمعاملتهم أحسن معاملة بل يستحب أن يكسوهم مما يكسو ويطعمهم مما يطعم وهذا أبو ذر لا يفرق بينه وبين عبيده لتشابه ملابسهم فإن أبى السيد أن يطعمهم من طعامه أعطاهم جزءاً منه خاصة لو قام العبد بطبخه أو شراءه فربما تطلعت نفسه إليه ثم قيل للعبيد أسلموا وادخلوا في الإسلام فسنشرع العتق وسنجعل ثوابه أعظم الثواب ولكن بشرط كون النفس المعتقة مؤمنة بل سنجعل معظم الكفارات عتق الرقاب ثم قيل للأمة قد منعت من زوجك فسنجعل للسيد حق جماعك كزوجته تماما لئلا تتوق نفسك إليه فربما وقعت في الزنا بل سنقول للسيد إما أن تكفي أمتك كما تكفي زوجتك وإما أن تبيعها لمن يقوم بهذا ثم إذا ولدت الأمة لسيدها ولداً ذكراً كان أو أنثى عتقت من بعد وفاته بل سنقول للسيد لو أدبتها وأعتقتها وتزوجتها كان لك الأجر مرتين كما صح بذلك الحديث وسنقول للسيد عموماً يحرم عليك أن تكلف العبد من العمل ما لا يطيق فإن فعلت فساعده في العمل وإياك أن تضرب وجهه أو تضربه بلا سبب فإن أصبته من ضربك بعاهة بلا سبب منه كان إثمك عظيماً ولم تكن لك كفارة إلا عتق العبد كما صح بهذا الحديث.

بل سيقال للسيد إذا طالبك العبد بالكتابة يعني أن يعمل ويدفع لك مالاً تتفقان عليه مقابل عتقه وجب عليك إجابته طالما كان العبد صالحاً قال تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (النور: ٣٣) بل ساعده من مالك حتى يكمل مال المكاتبة لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (النور: ٣٣).

- فإن قال المريض أو الشيخ الهرم أو الأعمى أو المرأة نريد الجهاد لننال هذا الشرف؟ قيل لهم من نوى منكم بصدق الشهادة والجهاد كتب له الأجر ومن أنفق من ماله على أسرة المجاهد حتى يرجع كتب له الأجر ومن أمد منكم الجيش

بالسلاح والنفقة كتب له الأجر وأيما زوجة راعت زوجها في ولده وبيته وحفظته في نفسها وماله حتى يرجع كتب لها الأجر. فسبحان من هذا شرعه وحق والله لعباده كهذه أن يقال عنها: «**من مات ولم يغز ولم تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبه من النفاق**» رواه مسلم.

١٢- تأملت قوله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ (هود: ١٠٦، ١٠٧) وتذكرت قول البعض: «لو توعدني الله إن عصيته بالحبس في الحمام لكان جديراً بي أن أخاف فكيف وقد توعدني بالنار إن عصيت!» فإذا بنفسي تشعر بهول الأمر فطعام أهل النار أسوأ من الغائط والقذر وشرابهم أقذر من البول فكيف يطاق هذا؟ فكيف وهم مع هذا في النار اللهم أجرنا من النار اللهم أجرنا من النار اللهم أجرنا من النار.

ثم فيها مصاحبة الكفار والفراعنة والمجرمين والبعد عن الصالحين والأهل فما أصعب هذا والله؟ من أجل هوله بكى سفيان في الفاتحة وبال عمر بن عبد العزيز الدم وطار النوم من عين مالك بن دينار وقام رسولنا حتى تشققت قدماه!!

١٣- تأملت قول تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ۝ ﴾ (الزمر: ٤٧) وكيف بكى منها السلف فوجدت الأمر كما ظنوا فكم من مؤهل للدرجات العلى ولعله من أهل النار ... كم من عبد صلح حاله أولاً وهو من أهل سوء الخاتمة فما أصعب العمى بعد البصر وأصعب منه الضلال بعد الهدى ... فالواجب على الجميع الحذر واجتناب العجب والغرور والله المستعان.

١٤- تأملت قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (هود: ١٠٨) فقلت كم تساوي الدنيا حتى يترك العباد الجنة من أجلها ... حيث النعيم الدائم أبد الآباد .. لا موت ولا هم ولا حزن

ولا غم ... في جنات وأنهار .... فيها ينسى كل هم ... كم سيتعبد العباد في الدنيا حتى يتكاسلوا عن العبادة؟

عجيب والله حال من يترك نعيم الآخرة من أجل دنيا فانية ... أيتركون مجاورة النبيين والشهداء والصالحين من أجل مصاحبتهم لأصدقاء السوء في الدنيا!!.

١٥- تأملت قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ (هود: ١٠٨) فوجدت تشابهاً بديعاً بين الرماد وبين صد الكفار عن سبيل الله من عدة أوجه.

أ - فكما أن الرماد أسود ولا وزن له ولا قيمة له كذلك صد الكفار عن سبيل الله عمل أسود ولا وزن له ولا قيمة له.

ب - وكما أن الرماد لا أثر له ولا ثمرة له فلو وضع على شيء ثم أزيل الرماد لم يبق شئ كذلك صد الكفار عن سبيل الله.

جـ - وكما أن الرياح العاصفة الشديدة تفرق الرماد وتشتته كذلك رياح التمكين تأتي على أبنية الكفار التي بنوها للصد عن سبيل الله ولما كانت الريح الشديدة لا يحتاج إليها إلا مع الأبنية القوية فكذلك أبنية الكفار للصد عن سبيل الله ولو كانت قوية مؤسسة فإن رياح التمكين لابد أن تقتلعها من جذورها.

١٦- تأملت قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ (النازعات: ٤٢) فقلت لم شبه مجيء الساعة برسو السفينة على الشاطئ؟ فرأيت بينهما أوجه تشابه:

أ - أن الراكب للسفينة يعلم أنه لابد من نزوله منها كذلك الذي يعيش في الدنيا يعلم أنه لابد من مجيء وقت يغادر فيه الحياة.

ب - كذلك الراكب للسفينة يكون عرضة لأمواج قد تغرقه كذلك العبد في الحياة عرضة لأمواج الشهوات والشبهات التي قد تهلكه فيلحذر منها كما يحذر الراكب.

جـ - مستقر السفينة ليس البحر إنما مآلها إلى الرسو كذلك مستقر البدن والروح ليس الدنيا إنما هو في الآخرة فليعمل العبد لمستقره.

د - كلما ثقلت حمولة الركاب في السفينة كلما تعرضت للغرق كذلك كلما زاد حمل العبد للمعاصي كلما خشي عليه.

هـ - أن الركاب في السفينة كلهم على قلب رجل واحد فلو كسر أحدهم السفينة وتركوه غرقوا جميعاً ولو منعوه نجوا جميعاً فكذلك العباد في الدنيا لو تركوا العاصي دون نهي هلكوا جميعاً ولو نهوه نجوا جميعاً.

و - أن الناظر إلى البحر وهو في السفينة إذا كان جاهلاً بالمواني وأماكنها رأى البحر لا نهاية له ورأى الرسو بعيداً كذلك العبد المتعلق بالدنيا إذا كان جاهلاً بحقيقتها رآها لا نهاية لها بعكس العالم بحقيقة الحال.

ي - إذا اقترب رسو السفينة ـ رأى الجميع الميناء وعرفوا حقيقة الأمر وقرب انتهاء الرحلة. كذلك في آخر الزمان عند نزول عيسى وظهور العلامات الكبرى للساعة يعرف الناس حقيقة الدنيا فيزهدون فيها ويعرفون حقيقة الآخرة فيرغبون فيها.

ن - أن السفينة لابد لها من قائد حتى تسير بسلامة كذلك العباد في الدنيا لابد لهم من شرع يقودهم حتى تستقيم حياتهم .

١٨ - تأملت قوله عز وجل: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف: ١٥٧) فتفكرت فيما شدد فيه على اليهود وخفف فيه علينا فتبين لي أشياء :

أ - تحريم الصيد عندهم يوم السبت «يوم الإجازة» ولا يحرم عندنا يوم الجمعة الذي هو يوم تفرغنا ولعل الحكمة من ذلك ضعف إيمانهم فخشي عليهم لو أبيح لهم الصيد يوم السبت يوم عبادتهم لضيعوه في اللعب والصيد بعكس أمتنا تجري العبادة في دماء عابديها فلم يحرم عليهم الصيد بل ولا العمل يوم الجمعة ـ إذ صلاة الجمعة مقدسة عند الجميع لا يتصور ضياعها نعم وجد فينا من يضيعها ولكنها فئة رذيلة ليست هي الأصل.

ب - عدم حل الغنائم لهم وحلها لنا ولعل من حكم ذلك ضعف إخلاص اليهود وحبهم الشديد للمال فلو أبيحت لهم الغنائم لجاهدوا صرفاً من أجلها لا من أجل دين الله بعكس المؤمنين لكمال إخلاصهم لا تعارض عندهم بين الإخلاص لله وطلب الغنيمة.

جـ - حرمة القرب من الحائض عندهم بعكس شرعنا ولعل ذلك لقلة ورعهم فيخشى على أحدهم لو باشر الحائض أن يجامعها بعكس أمتنا فلكمال ورعهم يستطيعون المباشرة دون الوقوع في الحرام.

د - لا صلاة عندهم إلا في المساجد بعكس شرعنا فإننا نصلي حيث شئنا ولعل ذلك لأنهم لا يصلون إلا قليلاً بعكس أمة الراكعين الساجدين ولأن اليهود لو شرع لهم الصلاة في البيت لربما تهاونوا في الجماعة في المسجد بعكس أمتنا ولله الحمد.





الفصل الخامس:

التفكر في أسماء الله وصفاته:

وهو من أكبر أسباب زيادة الإيمان في قلب العبد إذ التفكر فيها يسبب محبة العبد لربه وتعلقه به دون ما سواه والتفكر فيها يكون بأمور:

أ - التفكر في آيات القرآن التي ختمت بأسماء وصفات الله وربط معاني الأسماء والصفات بمعاني الآيات فمثلاً قوله عز وجل في سورة البروج عمن حارب الأولياء: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (البروج: ٨) فمن المناسب جداً أن يختم هذه الآية بقوله «العزيز الحميد» كأنه يقول: «ليس تمكيني للظالمين من أوليائي لضعف قوتي أو قلة حيلتي بل أنا العزيز الذي لا يغلب وإنما فعلت هذا لحكم عظيمة أحمد عليها فأنا الحميد» وقس على هذا فتدبر كل آية ختمت بأسماء لله أو صفات بهذه الكيفية ويفيد في هذا جداً قراءة أقوال السلف في تفسير هذه الآيات والله الموفق والمستعان على هذا العمل إذ إدمانه من أكبر أسباب الوصول لمعرفة الله.

ب- ربط معاني الأسماء والصفات بالأحداث والوقائع التي يمر بها العبد أو يراها فيمن حوله.

أ: الأسماء والصفات التي ختمت بها آيات القرآن:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢).

وقال في آية أخرى: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (سبأ: ١).

وقال في ثالثة: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وقال في رابعة: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٣٠).

وفي خامسة: ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ (الشورى: ٥١).

وهذا هو الكمال بعينه والله فما أحلى كلام الله وما أجمله في التعبير عن معاني الأسماء والصفات فالحكيم هو الذي يحكم ويضع الشيء في موضعه ولكن ربما كان الحكيم في قوم سوء فاستذلوه واستهانوا به فنفى الرب عن نفسه هذا فقال ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ وربما كان الحكيم له نظراء أو أشباه يحكمون بمثل حكمه فنفي الرب عن نفسه هذا فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠﴾ (البقرة: ٢٦٠) أي لا مثيل له ولا نظير له وربما نصح الحكيم في خصومة بالحق فلم يستطع تنفيذ ما نصح به لمغالبة الظالمين له فنفى الله عن نفسه ذلك بقوله ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي لا مغالب له ولما كان الحكماء يتفاوتون في مقدار حكمتهم مدح الرب نفسه بأن حكمته لا حدود لها فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ۝١٣٠﴾ (النساء: ١٣٠) ولما كان الحكيم تزداد حكمته مع الزمن شيئاً فشيئاً نفى الله هذا عن نفسه فقال «وكان الله» أي حكمته واسعة منذ قديم الأزل لم تزد شيئاً ولما كان الحكيم يزداد كماله بازدياد علمه وخبرته بواقع الناس وحالهم مدح الله نفسه فقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فما من حكيم من البشر إلا ويجهل أشياء فمدح الرب نفسه فقال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أي بكل شيء.

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ (التوبة: ٦٠).

أي حكيم في شرعه يعلم من يستحق الزكاة ويحتاجها أكثر من غيره فهذه الآية تثبت حكمه الله في أحكامه الشرعية وفي سورة البقرة قال:

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣٢) وهذا قول الملائكة لما أخبرهم الله باصطفاء آدم خليفة في الأرض كأنهم يقولون أنت الحكيم في أفعالك الكونية والعليم بالمصالح والمفاسد وبمن يستحق الخلافة وبمن لا يستحقها فهذه الآية تثبت الحكمة في أحكام الله الكونية.

٣- قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء: ٩) وقال في آية ثانية: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (النمل: ٧٨) وقال في ثالثة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٠) وقال في رابعة: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (آل عمران: ٤) وقال في خامسة: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (البروج: ٨) وفي سادسة: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الصافات: ١٨٠).

وهذه التعبيرات من أدق وأجمل ما يكون إذ السلطان من البشر ربما كان له طيش وسفه فنفى الله عنه هذا فقال: «إن الله عزيز حكيم» فلا يفعل شيئاً إلا بحكمة وربما كان السلطان قاسياً غليظاً جافياً فنفى الله عن نفسه هذا فقال: «وإن ربك لهو العزيز الرحيم» ولما كان العبد قد يغفر لأخيه لكونه لا قدرة له على الانتقام قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٨) أي يقدر على الانتقام ومع ذلك فإنه يغفر ويصفح ولكن ليحذر العصاة ولا يتجرؤا على معاصي الله فالله عزيز ذو انتقام ولما كان البشر يتفاوتون في سلطانهم أخبر الحق أن سلطانه لا مثيل له فهو رب العزة نفسها فأي عزة عزته وأي سلطان سلطانه!! فإن قيل فما بال الظالمين يتسلطون على المؤمنين والأولياء؟؟ قلنا ليس هذا لضعف قوة الله فهو العزيز ولو شاء لانتصر ولكنه سلط الظالمين لحكم يحمد عليها فهو العزيز الحميد ولذلك قال سبحانه: «وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد» أي ما نقم الظالمون من

الأولياء إلا أن آمنوا بالله الذي هو عزيز ولكن قدر الابتلاء على المؤمنين لحكم يحمد عليها من زيادة إيمان الدعاة وظهور صبرهم وتوكلهم وغيرها من الحكم.

٤- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٣) وقال في آية أخرى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ (النساء: ١٣١) وفي هذا الجمع كمال إذ الغني من البشر ربما كرهه الناس لبخله وتعاليه على الناس أو لسوء خلقه فنفى الله عن نفسه هذا فقال: «وكان الله غنياً حميداً» أي يحمده الجميع ولما كان الغني من البشر إذا كثر غناه ربما استقل هدايا البشر له إذ هي مهما كانت بالنسبة له قليلة طمئن الله عباده بأنه مع غناه العظيم يقبل منهم أي صدقة ولو كانت قليلة فهو الحميد الذي يحمد العمل الصالح ويقبله ولو كان قليلا ولما كان الغني من البشر قد يتبرم بكثرة سؤال الناس له وإلحاحهم عليه نفى الله هذا عن نفسه فقال: «والله غني حليم» وفيها تنبيه كذلك على أنه ينبغي لذي السلطان وللغني أن يحلما على الناس فالسلطة والغنى قد يدعوان العبد إلى الغضب والانفعال.

٥- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٧) وقال في أخرى: ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (هود: ٤٥) وقال في ثالثة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (المائدة: ٥٠). وفي هذه التعبيرات القرآنية دقة بالغة إذ الحاكم ربما كان عالما بالحكم لكنه غشوم ظلوم فنفى الله عن نفسه هذا فقال: «وأنت أحكم الحاكمين» فهو سبحانه حكيم في حكمه وربما كان الحاكم صالحا للحكم ولكن غيره خير منه فقال سبحانه عن نفسه: «وهو خير الحاكمين» وربما كان الحاكم أفضل من يحكم ولكن لكذب الشهود مثلا حكم بما هو خلاف الحق فنفى الحق عن نفسه هذا فقال: «ومن أحسن من الله حُكْما» ولم يقل: «حَكَماً» فهو خير حَكَم وحُكْمه كذلك خير حُكْم إذ هو العليم الذي لا تخفى عليه خافيه.

٦- قال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (هود: ٦١) وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (إبراهيم: ٣٩) وذلك أنه ربما كان الملك معطياً لرعيته ما سألوا ولكنه بعيد عنهم لا يصلون إليه إلا بصعوبة فنفى الله عن نفسه هذا وأخبر أن العبد متى وأينما طلب وجد الله قريباً منه برحمته ومعيته سبحانه وربما كان الملك مجيباً لمطالب الناس ولكنه وكل حاجباً أو غيره يسمع مطالبهم وينقلها إليه فنفى سبحانه عن نفسه هذا وقال: «إن ربي لسميع الدعاء» أي يسمع بنفسه دعاء الداعي فلا وكيل له ولا مشير.

٧- قال تعالى: ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣) وقال أيضاً: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٩) وقال في ثالثة: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٦٤) وقال في رابعة: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل: ٧) فما أجمل هذه الآيات فالعبد قد يرحم غيره ثم بعد ذلك يؤذيه فنفى الله عن نفسه هذا فقال: «وأنت خير الراحمين» وربما رحم غيره لغرض خبيث في نفسه أو لعجزه عن الظلم فنفى الله هذا عن نفسه بقوله: «وأنت خير الراحمين» وربما رحم العبد أتباعه وشيعته ومن يحبهم دون غيرهم فأخبر سبحانه أنه رحيم بالناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٤٣) وقد يبتلي الرب عبده المؤمن بما يظهر فيه السوء ولكنه في الباطن عين الرحمة لما فيه من الخير والثواب ورفعة الدرجات وتوضيح هذا في قوله سبحانه: «وأنت أرحم الراحمين» أي أنت أرحم بي من نفسي ومن الناس ولو رأى الناس ابتلاءك لي عذابا فهو رحمة فأنت أرحم بي منهم. وتأمل قول أيوب عليه السلام: ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣) وكأنه يقول له لا أطلب رفع البلاء عني اتهاماً لك ولا اعتراضاً عليك بل أنت

أرحم الراحمين ويحتمل أن يكون المعنى بلغ البلاء جهده حتى رحمني البشر وأنت أرحم بي منهم فارفق بي لأتمكن من عبادتك وطاعتك وقد كان بعض الإخوة إذا نزل به بلاء قال: «يارب لو كان رفع البلاء بيد أبي أو أمي لرفعاه وأنت أرحم بي منهم فارفعه عني فكان يرفع» وتأمل قول يعقوب لبنيه: «فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين» أي وإن كان قد فرق بيني وبين يوسف إلا أنى لم أفقد الثقة بعد في رحمته فهو أرحم الراحمين ولا يبتلى المؤمن إلا لرحمته.

٩- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (التغابن: ١٧) وقال في أخرى: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (فاطر: ٣٠) فما أجمل هذا السياق إذ الملك من ملوك الدنيا ربما شكر حسن عمل الناس فإذا أخطأوا بادرهم بالبطش والغضب ونسي لهم ما كان منهم من حسن عمل سابق فنفى الملك الحق عن نفسه هذا فهو شكور يشكر لعبده عمله الصالح فإذا أخطأ العبد غفر له ولم يبخسه عمله الصالح السابق بسبب خطأه.

١٠- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات: ١٣) وقال أيضاً: ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سبأ: ٢٦) وقال أيضاً: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى: ٥٠) فما أجمل صفات الله فالعالم من البشر ربما لم تكن له خبرة بواقع الناس فنفى الله عن نفسه هذا فقال: «إن الله عليم خبير» وربما كان عالماً ولكنه يضن بعلمه عن غيره فقال سبحانه عن نفسه: «وهو الفتاح» وهذا التعليم منه لغيره ليس هكذا بلا ضابط بل عن علم منه سبحانه بمن يستحق فهو الفتاح العليم ولما كانت آفة العلم أن يكون أصحابه ضعفاء لا يقدرون على تطبيقه قال سبحانه عن نفسه: «والله عليم قدير» فهو ينفذ ما يريده.

١١- قال سبحانه: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الإسراء: ١٧) وقال أيضاً: ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الشورى: ٢٧) والله لو

تدبر الناس القرآن حق التدبر وتفهموا صفات الله حق التفهم لظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فالعبد ربما أذنب خطأً أو جهلاً أو مكرها فطمأنه الله بقوله: «وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيراً» فهو بصير بالذنب ويعلم بخبرته ما في قلب العبد من عمد أو جهل بل فيها تهديد كذلك لمن يعمل الذنب عمداً وإفساداً وإضلالاً ويقول أخطأت أو لم أرد إلا الخير فالله يعلم حقيقة نيته وربما كذلك عمل العبد العمل الصالح مرائياً فحذره ربه أنه بعباده خبير بصير. فهو يعلم حقيقة الذنب وما في قلب العبد.

١٢- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النحل: ١٩) فإن قيل فما وجه المدح بمعرفة العلن والكل يعلمه؟ قلت ربما صار العلن كالسر فلو خرج قوم في مظاهرة يهتفون في وقت واحد فمن يستطيع تمييز صوت كل واحد وتحديده؟ فالملايين من البشر على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم واختلاف كلماتهم يتكلمون في وقت واحد والرب يسمعهم جميعاً ويميز صوت كل واحد فسبحان السميع سبحانه وكذلك العباد يتقلبون في أماكنهم وبلادهم المختلفة في وقت واحد والرب يبصرهم ويراهم فسبحان البصير.

١٣- قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ (النساء: ١٤٩) وقال أيضاً: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٥) وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (النساء: ٤٣) فربما عفى العبد عن غيره ثم منّ عليه وآذاه وربما كان لغرض خبيث أو طلباً لرضوان الله فقال الله عن نفسه: «والله خير الغافرين» يغفر ولا نفع يعود عليه وربما عفى العبد عن غيره مرات ثم يضيق ذرعا أما الرب فإنه يعفو ويغفر ولو أخطأ العبد ملايين المرات وربما غفر العبد عن غيره وتبقى في نفسه بقية أما الرب فإنه يعفو وكأن شيئاً لم يكن وكان الله عفواً غفوراً.

١٤- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الشورى: ٢٨) وقال أيضاً: ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (هود: ٧٣) وفي هذا الجمع كمال إذ المحمود من البشر

ربما حمده الناس وهو في الحقيقة لا يستحق الحمد فأخبر الحق أنه سبحانه محمود مجيد عظيم يستحق الحمد لمجده وعظمته ثم المحمود من البشر ربما تعالى عليهم وحجب نفسه عن الخلق لتبقى لنفسه مكانة عليهم وربما منع فضله غيره فلا يعطف على فقيرهم ولا يشفع لهم أما الرب فهو الولي الحميد يتولى أمور عباده لا يحتجب عن حوائجهم ولا يبخل عليهم بل يتودد إليهم وينعم عليهم سبحانه.

١٥- قال تعالى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝﴾ (الرعد: ٩) وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝﴾ (النساء: ٣٤) وقال أيضاً: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ (الشورى: ٤) فسبحانه هو الكبير العظيم في ذاته ونفسه والعلي المتعال على خلقة فربما كان العبد شريفاً في نفسه إلا أنه لا مكانة له بين الناس ظلماً منهم له أما الرب فهو الكبير المتعال والعلي العظيم.

١٦- قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ (آل عمران: ٩٨) وقال أيضاً: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝﴾ (البقرة: ٧٤) فلما كان المراقب من البشر مهما أوتى من قوة ملاحظة قد يغفل ولو للحظات أخبر سبحانه عن ذاته العلية أنه شهيد رقيب على أعمال عباده ولا يغفل عنهم ولو لحظة واحدة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ۝﴾ (الأحزاب: ٥٢) و﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ (النساء: ١).

١٧ - قال تعالى: ﴿وإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝﴾ (الحج: ٥٨) يعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فأي تاجر يربح المرء معه هكذا؟ بل يبدل السيئة حسنة إذا تاب العبد منها أما تجار الدنيا فالكريم فيهم من يقيلك التجارة التي ندمت عليها فلا تربح ولا تخسر أما أن يبدل الخسارة بالمكسب فما سمعنا عن هذا فسبحان خير الرازقين.. ثم هذا الذي يعطي غيره ربما منّ وآذى وربما كانت له أغراض ما أما ربكم فهو خير الرازقين سبحانه لا يبتغي من عبادة شيئاً.

ب: التفكر في الأسماء والصفات التي لمعانيها ارتباط بأحداث ووقائع في الحياة:

حكمة الله وحسن اختياره لعبده:

أ - تأملت في نفسي حال أخ فاضل رسب سنوات دراسيةً ما فحزنت لذلك نفسه جدا ولكنه صادف أن تخرج في عام ما فأعفي فيه من الجيش ولو لم يرسب وكان قد تخرج مع زملائه لدخل الجيش أو على الأقل لحلق لحيته في الكشف الطبي فقلت سبحان الحكيم الذي لا يقدر على عبده المؤمن إلا الخير ثم قلت في نفسي ترى لو علم هذا الأخ الغيب ماذا كان سيختار؟ فإذا بنفسي تتذكر قول بعض الصالحين: «لو اطلعتم على الغيب لاخترتم ما قدره الله».

ب - بلغني عن أخ فاضل أنه نام عن امتحان تحسين الثانوية العامة فلم يدخل مادة ما فقل مجموعه فدخل كلية غيرالتي كان يستحقها فحزن لذلك إذ قد عرف بين زملائه بالتفوق ثم مرت أيام فإذا به في الكلية التي سخطها إذا به يتعرف على إخوة أفاضل يلتزم معهم ولولا أن قدر الله عليه دخول هذه الكلية ما التزم فقلت في نفسي سبحان الحكيم العظيم.

جـ - تأملت حال الدعوة في أوائل عهدها وقت قلة الملتزمين وكثرة الاضطهاد وحال الدعوة مؤخرا مع كثرة الالتزام الظاهري فرأيت قوة الالتزام في أوائل عهد الدعوة وضعفه في آخر عهدها فقلت سبحان الله ـ كأنه مع كثرة الاضطهاد وقلة الملتزمين يقوى الالتزام وذلك لشعور الملتزمين بالمسئولية ولتعلقهم بالله أكثر ثم قلت في نفسي لكأني بالملتزمين في العهد الأول يقولون متى يكثر العدد ويزول الاستضعاف وهم لا يعلمون بأنه مع حدوث ذلك سيقل الالتزام حتى يصبح في قطاعات عريضة من الملتزمين مجرد التزام ظاهري مجوف فأيقنت نفسي بقول بعض الصالحين: «إذا دعا أحدكم ربه فليطلب منه تيسير ما يراه الله له خيراً لا أن يطلب

ما يراه لنفسه الخير» يعني أن لا يقول (يارب افعل كذا وكذا) بل يقول (يارب قدر الخير للدين والملتزمين) وأيقنت نفسي كذلك باسم الحكيم الذي يقدر ما قد يراه الناس شرا وهو في الحقيقة عين الخير.

د - تأملت حال بعض الإخوة ممن منع من الخطابة وإلقاء الدروس فحزن جداً ثم تفرغ لكتابة الكتب وتنظيم مسائل يكتبها ما كان لينظمها لولا تفرغه هذا فقلت سبحان الله الحكيم ثم تأملت حال هذا الأخ فإذا به نشأ في بلد ما ثم انتقل إلى بلد آخر والتزم فيها والتقى فيها بطلبة العلم ثم تأملت في سيرته أكثر فوجدتها والله كلها تنقلات من مكان إلى مكان ومن عمل إلى عمل ومن حال إلى حال وما انتقل إلى حال إلا ووجد فيه ما يعنيه أكثر على طلب العلم فسبحان الله الحكيم بل والله ما حدث في حياته حدث إلا وكانت له فيه موعظة وعبرة وفائدة فقلت في نفسي كأن كل حركة وسكنة لكل مخلوق يقدرهـا الله لحكمة بل لحكم عظيمة نطلع على بعضها وما يخفى علينا أكثر فسبحان الحكيم الذي بهرت حكمته العقول وأيما واحد اطلع في نفسه على هذا المعنى لوجد الكثير والكثير.

حكمة الله في أشكال المخلوقات:

قرأت عن بعض الطيور أن حركة جناحه بشكل معين لفائدة ما وقرأت عن أخرى أن شكل قدميها له حكمة ما ودرست فيما يتعلق بالإنسان حكما أيضا لمواقع أجهزته وأشكالها فقلت سبحان الله كأن كل إنسان وكل طائر وكل حيوان بل في النبات كذلك كل هذه المخلوقات ـ ما من عضو فيها إلا خلقه الله لحكمه فأعظم بهذا الإله من حكيم.

سعة علم الله

تأملت ما في باطني من دقائق وخفايا وعيوب ظاهرة وباطنة وخواطر وساوس وإرادات فوجدت كماً هائلا فقلت سبحان من علم هذه في قبل خلقي

بل وعلم ما في كل مخلوق كذلك فسبحان العليم لا ينسى ولا يغفل وإذا كان الكمبيوتر المخلوق يسع كما هائلا من المعلومات فكيف بعلم الخالق.. ولكن الكمبيوتر وإن وسع كما هائلا إلا أن له سعة معينة على حسب نوع الجهاز لا يستطيع حفظ أي معلومة زائدة على هذه السعة أما ربنا فعلمه لا نهاية له ولا حدود له ثم جال خاطري في تفاصيل حياتي من نشأتي ودراستي وزواجي وما أفعله في اليوم وفي الأسبوع وفي العام بل في الثانية من أعمال ـ كل ذلك في علم الله لا يغيب عن شيء وكذلك كل مخلوق فقلت سبحان الله أي علم علمه وأي خبرة تفوق خبرته..؟ سبحانه هو العليم الخبير.

ضرورة محبة الله عز وجل:

تأملت حال الناس فوجدتهم ـ أي الصالحين منهم ـ قد شغفوا بمحبة الألباني والعثيمين وابن باز وذلك لعلمهم وفعلهم للخير وصلاتهم رحمة الله عليهم فقلت وما علم هؤلاء في علم الله وما فعلهم للخير في جنب فعل الله؟ أو ليس الله بأولى بالحب منهم؟ نعم لست أنكر محبتهم فأنا من المحبين لهم جداً ولكنه تنبيه على لزوم محبة الله أكثر من أي أحد إذ ما من خير يحب بسببه مخلوق إلا وفي أفعال الله وصفاته وأسمائه أضعاف أضعافه بل كل خير في المخلوق هبة الله وفضله.

سعة كرم الله ومغفرته:

أ - تأملت حديث الرجل الذي كان يداين الناس ويقول لغلمانه تجاوزوا عن المعسر لعل الله أن يتجاوز عنا وكيف أن الله غفر له لعمله هذا ولم تكن له حسنة سواه فقلت سبحان الغفار الغفور ثم جلت بخاطري في حديث عتقاء الرحمن الذين يدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فأدركت أن الله وحده هو الغفور الرحيم فالواحد منا يغفر لمن أخطأ في حقه مرة ومرتين وثلاثا أما أن يغفر لمن عاش حياته كلها يخطأ في حقه بل ويغفر لآلاف ممن عاشوا حياتهم كلها

في معصيته.. فهذا لا يكون والله إلا من الغفور التواب بل المخلوق لو غفر لأخيه فإنما يبغي بذلك شيئا إما مدح الناس وإما رضا الله وثوابه فمغفرته لغرض وأما الله فلا ينتفع بمغفرته لنا شيئا فسبحان الكريم.

ب - تأملت حال الكرماء من البشر فوجدت الناس يعجبون بكرمهم ويحبونهم من أجله فقلت في نفسي وما كرمهم في جنب كرم الله؟ ينفق ملايين الملايين ويرزق كل مخلوق حتى الكافر حتى من يسبه ويحارب أولياءه.. ما بخل قط ولا منع إلا وفي منعه عطاء من جهة أخرى بل من جهات.. بل زاد كرمه حتى شمل المن والتفضل بالأخلاق والعلوم والكمالات المعنوية فسبحان الجواد.. فالواحد من البشر إذا علم ما لا يعلمه غيره وكان كاملا بما ليس عند غيره ربما ضن بما عنده ليبقى أحسن حالا من الناس كما قال تعالى: ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ (النساء: ١٢٨) ولكن الرب يعلم هذا ويفهم هذا ويمن بالأخلاق الفاضلة على هذا فما من مخلوق إلا وكرم الله يشمله.

سعة حلم الله:

تأملت حال البشر فوجدت أحدهم يغضب إذا سبه غيره وكلما كان الساب ناقصا والمشتوم كاملا كلما زاد الغضب وكلما زاد سوء السب كلما زاد الغضب فقلت سبحان الحليم الصبور هو الله العلي الأعلى ويسبه المخلوق الذي لا يساوي جناح بعوضة بل ويسبه فيما يتعلق بحقوق الألوهية والربوبية ومع ذلك يصبر ربنا ويحلم وربما هداه بعد إلى الإيمان وسامحه وأحبه كأن شيئاً لم يكن فلا إله إلا الله الحليم الصبور.

هداية الله لخلقه

أ - تأملت هداية الله للمخلوقات فهذا النحل ينتج العسل في نظام بديع وهذا النمل يخزن قوته وهذه الطيور تضع الحب في أفواه صغارها بل وأعجب من ذلك

هدايته سبحان لهذه المخلوقات الهداية المعنوية والأخلاقية فها هو البخاري يروي لنا تعليقا مجزوما به عن أحد التابعين أنه رأى قردة مجتمعين على قرد زان يرجمونه حتى مات فقلت سبحان الهادي وها هو أحد الصالحين يحكي أنه وضع قطعة من السكر فرأتها نملة فرجعت وجاء وراءها جيش من النمل فلما رأى النمل عن بعد أخر قطعة السكر فأخذت النملة والنمل معها يبحثن عن قطعة السكر حتى يأسن منها فرجعن فوضع الرجل قطعة السكر ثانية فجاءت النملة فرأتها فرجعت إلى أخواتها فجئن معها فلما رأى الرجل النمل عن بعد أخفى القطعة ثانية فأخذ النمل والنملة يبحثن عن القطعة فلم يجدنها فاجتمع النمل على النملة يضربنها حتى قطعنها إرباً لكذبها فسبحان الهادي.

ب - تأملت مآكل الناس ومشاربهم الآن فوجدتهم يطبخون أنواعا ويشربون أنواعا على طرق مختلفة حتى يكون الطعام في النهاية من أشهى ما يكون فقلت من أين علم الإنسان كيفية الطبخ وعمل العصائر خاصة وهم يفرقون بين المتشابهات فهذه الكوسة تحشى وتطبخ والخيار يؤكل مع السلاطة مع تشابههما في الشكل.. وهذه الملوخية تطبخ بينما النعناع يغلى ويشرب مع تشابههما في المنظر.. فقلت سبحان الهادي الذي خلق فسوى وقدر فهدى حتى في أمور الدنيا من مأكل ومشرب فتباً لقوم جهال لا يدرون أن الهادي الذي هدى إلى أنواع المعايش والمطاعم المختلفة يستحيل أن يترك الإنسان بلا هداية معنوية أو منهج رباني يسير عليه.

أنوار الشريعة المحمدية:

أ - تأملت شرع الله وما فيه من أحكام عظيمة وكيف أطلعنا العلم الحديث على حكم عظيمة وفوائد جمة في بعضها وما يخفى علينا أكثر ورأيت هذه الأحكام تصلح النفوس فهذه أحكام الجنايات والحدود تربي أناسا يفعلون الجريمة دون أن يراهم أحد ثم إذا بهم يأتون ويعترفون بما فعلوا وما اعتراف ماعز والغامدية بزناهما ببعيد بينما في

القوانين الأخرى يتنصل المجرم من جريمته مع رؤية الناس له ويذهب إلى المحامي ليقول له سأخرجك من القضية كما يخرج الشعر من العجين فقلت سبحان من أدبت أحكامه القلوب والأنفس قبل تعذيبها للبدن.. وما أجمل ما قاله الشعراوي رحمه الله فقال: «إذا طلعت الشمس أطفأ الناس مصابيحهم اكتفاء بنور الشمس فكذلك إذا حكم الله بحكم فإن عليه النور فليطفأ كل واحد عقله ولا يعترض».

ب - تأملت آيات سورة النور وكيف نهى الله عن الزنا وأمر بغض البصر وبالاستئذان قبل دخول بيوت الآخرين وأمر بالحجاب والعفة وختم هذه التشريعات بآية النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) كأنه سبحانه يشير إلى أن النور كل النور في منهج الله فالله هو النور وأحكامه كلها نور فقلت في نفسي فهلا أضاء وأنار وجه الطائع حسيا أيضاً؟ ثم دارت الأيام حتى رأيت ثلاثة من الصالحين على وجوههم النور كالمصباح والله ولست أعني نضارة الإيمان وحلاوة اليقين فقد رأيتها على وجوه كثير من الصالحين ولكني أقصد أضواء حسية كضوء المصباح تماماً رأيتها على وجوه هذه الثلاثة فسبحان النور الذي ينور قلوب المؤمنين ووجوههم في الدنيا قبل الآخرة.

غنى الله عن عباده

- تأملت إغواء الله لكثير من خلقه ولو شاء لهداهم فقلت سبحان الغني عن عباده وعن عبادتهم وطاعتهم فمن أطاع الله فإنما ينفع نفسه ومن عصى فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً وتأمل قوله إبليس فيما يحكيه عنه رب العزة قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ (ص: ٨٢) أي لأنك عزيز غني عن عبادك ولولا ذلك ما استطعت أن أضل أحداً فعجباً لأناس يمنون على ربهم بطاعتهم بل تجرأ البعض لجهله وكأنه يهدد الله فقال لئن رسبت في الامتحان

لأتركن الصلاة وقال آخر عند بلاء: «لم يارب وأنا أطيعك» وكأنه يعترض على الله ويمن عليه وما علم هؤلاء غنى الله عنهم وعن عبادتهم.

سبحان القيوم:

- تأملت تقلب قلبي بين الغفلة والذكر وبين النشاط والفتور فوجدته ينقلب تقلبا عجيبا بل ورأيت أناسا من حولي كذلك فقلت سبحان القيوم الذي ما من قيام لنفس ولا قعود ولا حركة ولا سكنة بها إلا بالله فهو الذي من بالطاعة على من أراد وأزاغ عنها من أراد واستغنى عن كل أحد واحتاج إليه كل أحد فلا حول ولا قوة إلا بالله ولا خير في النفس إلا بالله ولا شر يدفع عنها إلا بالله وفي الحديث: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**».

سبحان الودود:

- تأملت تودد الله إلى عباده في القران فتارة يخبرهم بنعمه عليهم وفضله وتارة يخبرهم بجميل صفاته من رحمة وتوبة ومغفرة ومسامحة لهم وتارة يخبرهم بأنه يحبهم وبأنه سخر لهم الكون وجعل بني آدم سادة للمخلوقات الأرضية ـ كل ذلك ليحبوه ويعبدوه فقلت سبحان الودود يتودد إلى عباده وهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه.

سبحان المجيب الشافي:

- تأملت قصة رجل ابتلي ولده بمرض استعصى على الأطباء علاجه حتى يأس الأب من شفاء ابنه وأيقن بموته فبلغه حديث النبي الصحيح: «**داووا مرضاكم بالصدقة**» فتصدق على فقير وكساه ثم دعا ربه بشفاء ابنه فشفى ابنه فقلت سبحان المجيب الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ثم تأملت قصة رجل آخر أصيب بمرض استعصى على الأطباء فبلغه حديث: «**ماء زمزم لما**

شرب له» فشربه فشفاه الله فقلت سبحان الكريم وكأن الله يريد أن يعلم عباده أن الأسباب مهما تقدمت وأن الطب مهما تطور إلا أنه لابد من بقاء الاحتياج إلى التوكل على الله والاعتماد عليه فبيده الأسباب وهو ربها.

عناية الحفيظ سبحانه بأوليائه:

- تأملت قصة سفينة مولى رسول الله حيث انكسرت به السفينة في البحر إلى جزيرة فوجد بها أسدا فقال للأسد أنا سفينة مولى رسول الله فدلني على الطريق فدله الأسد وهي قصة صحيحة السند فلم أدر مم أعجب؟ أمن ثقة سفينة وتوكله أم من حفظ الله له؟ ثم جلت بخاطري فتذكرت ما روي عن إبراهيم بن أدهم أنه نام تحت شجرة فكانت حية تذب الذباب عنه حتى استيقظ فقلت سبحان الحفيظ ثم قلت لنفسي هذا حال السلف فهلا وجد في عصرنا ما يشابهه تقوية لقلوبنا؟ فبلغني عن ثقة أنه ركب في قطار كفر الدوار في مصر الذي تحطم وكان الوقت بعد العصر (أي وقت أذكار المساء) فكان هو على كرسيه يقول الأذكار بينما كان بجواره رجال يتكلمون ويضحكون مع نساء فيحكي صاحب القصة ويقول فوجدت نفسي عند حادث القطار وقعت على سطح دكان ولم أصب بشيء بينما هلك وتمزق الشباب الذين كانوا يتحدثون مع الفتيات وهذه قصة حقيقية صاحبها صديق لي في الكلية ـ فقلت سبحان الحفيظ وما قصة إنقاذ الخولاني من النار ببعيد إذ أنقذه الله من النار التي ألقاه فيها الأسود العنسي فخرج الخولاني لم تؤذه النار بل كانت عليه برداً وسلاماً فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

سبحان البديع:

- تأملت صور المخلوقات من بشر وطير وأسماك ونبات وحيوان فوجدت فيها صوراً جميلة المنظر مبهجة للنفس عدلها الله وسواها ووضع الأعضاء في

المكان اللائق بها فلو كانت عين الإنسان مثلا في جبهته لفسد منظره ولو مشى على يديه وكانت قدمه فوق لفسد منظره فقلت سبحان المصور الذي خلق وبرئ وسبحان البديع الذي لا مثيل له ولا نظير له.

سبحان القدير:

- سمعت من بعض الفضلاء المتخصصين في الأبحاث العلمية أن العلم اكتشف حديثا أن البحار من تحتها في أعماقها نيران متقدة تدفئ الماء فقد كان المتصور أنه كلما نزلنا في أعماق البحار كلما قلت درجات الحرارة للبعد عن الشمس ولذا كان العلماء لا يتصورون حياة في أعماق المحيطات السحيقة إلا أنهم وجدوا حياة طبيعية مستقرة في هذه الأعماق وذلك بسبب حرارة هذه النيران التي تدفئ مياه البحار والمحيطات العميقة فقلت لا أدري والله مم أعجب أمن قدرة القدير الذي جاور الماء بالنار فلا الماء يطفئ النار ولا النار تبخر ماء البحر على الرغم من شدة غليانها؟ أم أعجب من رحمة الله وبديع خلقه حيث هيئ لكل مخلوق أسباب حياته؟ أم أعجب من كفر الكفار مع اطلاعهم على هذه الآيات العظيمة؟

سبحان العظيم:

- علمت من دراستي الدنيوية أن العلم الحديث اكتشف أن الأرض والكواكب والشمس جزء من مجرة مع هذه المجرة ملايين المجرات التي تسبح في نظام معه ملايين الأنظمة مثله فهالني ذلك جداً وقلت سبحان العظيم فهذا كله بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي بالنسبة للعرش هكذا والله فوق عرشه مستو عليه فسبحان العظيم الكبير العلي الجليل ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ والله ما يعقل هذا الأمر أحد ثم يتكبر أبدا ولكنه الجهل الذي أعمى القلوب.

عظيم منة الله على خلقه:

- تأملت حال الجنين في بطن أمه منذ أن كان نطفة وما زال الله يخلق فيه الأعضاء ويركب فيه الأخلاق والصفات حتى خرج من بطن أمه والله يرعاه وينمي جسده فيكبر شيئاً فشيئاً ويقوي جسده شيئاً فشيئاً يمده ربه بالغذاء والمأوى ثم من عليه بالعمل والزواج والذرية وقضى له حوائجه ويسر له أموره ومع كل هذه النعم يطالبه بعبادات يسيرة لا تشق عليه ففي إمكانه وطاقته أكثر منها بل ربما عصاه هذا المخلوق الذي ما به من ذرة إلا وهي من فضل الله ثم بعد ذلك يتوب الله عليه برحمته ويقبله فسبحان اللطيف الرحيم.

سبحان المهيمن:

- تأملت الكون على سعته وما فيه من نبات وأسماك وإنسان وحيوان بل والجمادات كل ذلك تحت سيطرة الله وحكمه وقهره بل ما في الكواكب الأخرى وما في أعماق البحار كل ذلك ما من ذرة فيه إلا وتتحرك بأمر الله وإذنه فسبحان المهمين القهار الذي خضع لسلطانه كل مخلوق في البر والبحر والسماء يدبر أمر الكون وينظم شئون المخلوقات أحاط بكل شيء علما فسبحان الله.

سبحان الرزاق:

- قرأت أن بعض الصالحين رأى طائرا يبحث عن الطعام في الأرض ثم يطير به حتى يضعه أمام كهف وتكرر ذلك من الطائر فتتبعه ذلك الرجل حتى علم الكهف الذي يضع أمامه الطعام وانتظر فإذا بثعبان أعمى يخرج فيأكل الطعام فعجبت جداً وأذكر أني خطبت مرة فحكيتها فبكى بعض الصالحين الحاضرين فسبحان الرازق وعجباً للمخلوق المفكر العاقل الذي يخشى الرزق مع أن ربه قد تكفل به حتى للعجماوات التي لا تفكر ولا تعقل فكيف يخشاه هو مع ما فيه من عقل وفكر؟

سبحان الفتاح:

- تأملت حال العلماء البارزين ممن برع ونبغ سواء في العلوم الشرعية أو في علوم الدنيا وكيف فتح الله عليهم ففهموا ما لم يفهمه غيرهم فها هو ابن حجر يكتب في فوائد الحديث الواحد عشرات الفوائد وربما لم نعلم نحن منه إلا فائدة واحدة وهها هو شيخ الإسلام يتعلم في صباه مالا يعرفه كثير منا في شبابه وكهولته... وها هو الشيخ حافظ حكمي يموت وهو ابن خمس وثلاثين سنة وقد حصل من العلوم الكثير فقلت سبحان الفتاح الكريم ثم جلت بخاطري أكثر فوجدت العجب العجاب فها هي عشرات التفاسير وفي كل واحد فوائد ليست في الآخر بل من ألف في التفسير من المتأخرين ربما كتب أحدهم من الفوائد ما ليس في كتب السابقين كتفسير السعدي وتفسير الشوكاني وتفسير القاسمي فسبحان الله خيره عميم وفضله كريم ولا يزال الخير في الأمة فكم كتب المتأخرون من الفقهاء والعلماء من فوائد فتح الله بها عليهم ولم يكتبها السابقون.

سبحان الغفور الشكور:

- تأملت قوله ﷺ : «**من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**» فقلت كأن مآله إلى الجنة إذ كيف يبنى له فيها وهو من أهل النار؟ فتعجبت نفسي من هذا الفضل العظيم ثم مرت بي الأيام واطلعت على أحاديث أخر كحديث: «**ما من عبد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إلا أعطاه الله بكل مؤمن حسنة**» (صححه الألباني) فكدت أن أطيش والله من التعجب ثم زاد تعجبي من فضل الله الكريم لما قرأت الحديث الذي صححه الألباني: «**ما من عبد يقول: لا اله إلا الله والله اكبر لا اله إلا الله وحده لا اله إلا الله لا شريك له لا اله إلا الله له الملك وله الحمد لا اله إلا الله ولا حول ولا قوة**

إلا بالله ما من عبد يقولها في ليلة ثم يموت في هذه الليلة إلا غفر الله له وما من عبد يقولها في يوم ثم يموت فيه إلا غفر الله له وما من عبد يقولها في شهر ثم يموت فيه إلا غفر الله له» فقلت سبحان ذي الفضل العظيم وسبحان الشكور الكريم.

النصر للإسلام:

تأملت حال المسلمين وضعفهم الآن وكيف هانوا على الأمم وكيف تكالبت عليهم الأمم فتذكرت حال الإسلام في مكة في بداية الدعوة بل حال كل دعوات الرسل في بدايتها كيف بدأت ضعيفة ثم قويت وانتشرت حتى تمكن الدين فقلت سبحان المبدئ المعيد وفي الحديث: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء**» وفي آخر: «**ما يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وأهله وذلا يذل به الكفر وأهله**». (رواه أحمد وصححه الألباني).



الفصل السادس:

تأملات إيمانية في معاني بعض الأسماء والصفات:

١- الملك:

- فمن علم أن الله هو الملك لم يتكبر على عباد الله إذ هو عبد لله فلم يتكبر على بني جنسه؟ ولم يتكبر وهو عبد ذليل فقير لا يملك شيئاً؟

- ومن علم أن الله هو الملك لم يخش أحداً إلا الله فلا يترك الطاعة خوفاً من العبيد أو إرضاءاً لهم وقد دخل العز ابن عبد السلام على أمير فوعظه وأمره ونهاه بجرأة استعجب لها الناس فلما سئل عن ذلك قال: «استحضرت عظمة الله فرأيته أمامي كالقط» وكان الظاهر بيبرس يقول: «إني أخاف النووي إني أهابه».

- ومن علم أن الله هو الملك وأنه عبد لله لم يقل إني حر وأفعل ما أريد وكما أشاء بل سيعلم أن له رباً وملكاً يشرع له وينهاه فعجبا لجهلة إذا نصحوا بترك معصية ما قالوا نحن أحرار وما علموا أن الإنسان خلق ليكون عبدا فإن أطاع الله كان عبدا له ولنعم ما فعل وإلا كان عبدا للهوى كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الجاثية: ٢٣) وعبداً للشيطان كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ (يس: ٦٠) وعبداً للدرهم والدينار والملبس والكرسي والمنصب كما قال الرسول: «**تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار وتعس عبد الخميصة**» (متفق عليه).

- ومن علم أن الله هو الملك لم يجزله أن يقول: «أنا غير مقتنع بهذا الحكم» فمن يكون هذا العبد حتى يعترض على حكم ربه؟ وهل إذا كتب له الطبيب دواءً

قال له أنا غير مقتنع به؟ بل يبادر بشرائه وأخذه مع عدم فهمه لما فيه مع أن الطبيب بشر يخطئ ويصيب.. فلماذا عند أوامر الرب يعترض البعض ولا يسلمون لأمره؟؟

- وإذا كان الملوك من البشر يرون لأنفسهم الحق أن يقودوا شعوبهم بمناهجهم التي يرونها فلماذا اعترض البشر على منهج الملك سبحان فهو أعلم بشئون مملكته وهو سيدها وبارئها؟ ولماذا يخالفون أوامره وهو شديد العقاب وإذا كان الملك البشرى يرى لنفسه الحق في عقاب من خالف أوامره ويرى أن له وضع حدود وقوانين تردع من خالفه فلماذا اعترض البشر على حدود الله وعقابه؟؟ هو والله الهوى الذي يقود الناس ويعبدونه من دون الله.

- وإذا كان الناس يتسارعون في خدمة الملوك البشريين ليحبوهم ويقربوهم وربما طار أحدهم من الفرح لو صار من خاصة هذا الملك فلماذا لا يتسارعون في طاعة الملك الحق ليحبهم وليعرفوا بين ملائكته أنهم من خواصه بل يعرفهم المؤمنون الصادقون كذلك؟؟ خدمة البشر للبشر مذلة.. وخدمة العبد للرب عزة فلم يطلب الناس الذل؟؟

- وإذا كنا رأينا من يفدي الملوك من البشر بأنفسهم وأرواحهم لتخلد ذكراهم في الدنيا فأين من يفدي دين الله بروحه ويضحي بنفسه من أجل الدين لتخلد ذكراه خلوداً حقيقياً؟؟

- وإذا كان الناس يتهاونون في أخطاءهم في حق المثل فإذا أخطأوا في حق الملك البشري خافوا وانزعجوا جدا ولو كان الخطأ يسيراً فأين من ينزعج ويضطرب من أجل الخطأ في حق ملك الملوك؟؟ والله لو أن الناس يخافون من ربهم كما يخافون من الشرطة لصلح حالهم.. فالله المستعان.

- وإذا كان الناس يشعرون بالهيبة والتعظيم إذا وقفوا بين يدي الملك من البشر فأين الخائفون المعظمون لله عند الوقوف بين يدي الملك الحق؟

٢- القدير:

- فمن علم أن الله هو القدير لم ييأس من نصر المؤمنين ولو كانوا في أشد درجات الاستضعاف قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ (الحج: ٣٩) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ (محمد: ٤) وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ (محمد: ١١) فنحن أمة تنصر بالدين لا بالعدد ولا بالعتاد.

- ومن علم أن الله على كل شيء قدير لم ييأس من رحمة الله فمهما ضاقت الظروف بالمرء ومهما اشتد كربه فإن الله على إزالته لقدير كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ (الحجر: ٥٦) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (يوسف: ٨٧).

- ومن علم أن الله هو القدير أعظم الرغبة وألحف في مسألته لله ففي الحديث: «**إذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس الأعلى**» إخواني ـ ربكم لا يتعاظمه شيء فأين الراغبون ... ووعدكم الإجابة فأين الواثقون؟؟.

- ومن علم أن الله هو القدير لم ينكر شيئاً وارداً في الكتاب والسنة ولو كانت تستغربه نفسه كوجود عذاب في القبر لمن قتل حرقا أو كلقاء رسول الله بموسى في السماء مع رؤيته له يصلي في قبره وغيرها مما تعجب منه العقول فالله على كل شيء قدير.

- ومن علم أن الله على كل شيء قدير توكل على الله مهما كانت الأسباب قليلة واعتمد على القدير واثقا بتوفيقه وتأييده وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ١، ٢).

٣ - الحق:

- فمن علم أن الله هو الحق لم يتكلم بالباطل ولا بالكذب ولو كان على قريبه أو وليه كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ ﴾ (النساء: ١٣٥) وقد قال بعض الحكماء: «قل الحق ولو كان مراً».

- ومن علم أن الله هو الحق اتبع الحق ولو كان قليل أهله فإن الكثرة قد تتبع الباطل وقد قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (الأنعام: ١١٦) وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (المائدة: ٤٩) وفي الحديث: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء**» (رواه مسلم) وقال الفضيل: «اسلك طريق الحق لا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الباطل ولا يغرنك كثرة الهالكين».

- ومن علم أن الله هو الحق قبل الحق والنصح من كل من جاء به ولم يتكبر عن قبوله وما أجمل ما قاله بعضهم: «لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلى من أن أكون رأساً في الباطل» وقال عمر بن الخطاب: «رحم الله رجلاً أهدى إلي عيوبي».

- ومن علم أن الله هو الحق ودينه هو الحق عمل بالكتاب والسنة ولم يتركهما لقول أحد وفي الحديث: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**» (رواه أبو داود وصححه الألباني) وفي آخر: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي**» (رواه الحاكم وصححه الألباني) وفي ثالث: «**تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**» (رواه أحمد وصححه الألباني) وقد قال بعض الحكماء: «الباطل خفيف وبي والحق ثقيل مري» أي الباطل يسهل

على المرء أولاً ولكن عاقبته وبيئة والحق ثقيل أولاً ولكن عاقبته جميلة فالخير كله في منهج الله واتباع أوامره والشر كله في مخالفته وعصيانه.

٤- الحسيب:

- إخواني .. من علم أن الله حسيب خاف من طائلة الحساب وأعد له جواباً وكان عمر يقول: «زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» فما أصعب الوقوف بين يدي الله ... وعن ابن عمر أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ (المطففين: ٤-٦) فلم يستطع أن يكمل من خوفه واضطرابه وقرأ بعض الصالحين في صلاته: «فإذا نقر في الناقور» فغشي عليه وخر ميتاً.

- إخواني ... إنا لله وإنا إليه راجعون .... فإذا علمتم أنكم إلى الله راجعون فلتعلموا أنكم محاسبون ... وإذا علمتم أنكم محاسبون فلتعدوا للسؤال جواباً.

- إخواني ... ستحاسبون على الصغير والكبير ... فأيكم استعد لهذا الموقف الخطير!! ... يوم القيام عسير ... فما للأمر عندكم يسير!!!!

- ومن علم أن الله هو الحسيب اكتفى به وتوكل عليه وفي الحديث: «**ما من عبد يقول حين يصبح وحين يمسي سبع مرات حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم إلا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة**» وقال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦ ﴾ (النساء: ٦) وفي الحديث: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**».

- إخواني ... توكلوا على ربكم في الثبات حتى الممات ... وتوكلوا كذلك عند الشدائد والمهمات ... اختيار ربكم لكم أحسن الاختيار.. من وعى هذه المعاني صار من الأبرار ...

٥- المقدم المؤخر

- إخواني .. من علم أن الله هو المقدم المؤخر فليسع ليكون عنده لا عند الخلق متقدماً وليهرب وليشفق من أن يكون عنده لا عند الخلق متأخراً فيا حسرة على العباد... يحرصون على التقدم في أمور الدنيا لا في أمور الدين فالمتبرجة تقول أنا أفضل من الزانية وشارب الدخان يقول أنا أفضل من شارب الخمر ومن يشاهد التلفاز يقول أنا أفضل ممن يشاهد الفيديو وقس على هذا أما في أمور الدنيا فصاحب السيارة لا يرضى حتى يشتري سيارة من أفخم ما يكون مثل جاره مع أنه لن يتضرر بسيارته ولكنه يطلب الأكمل فانظر إليه وهو هو الذي يطلب الأدنى في أمور الدين مع كونه يتضرر بفقد ما تركه وقد قال بعض السلف: «لو أنكم تهتمون بدينكم كما تهتمون بدنياكم لكفاكم هذا» وصدق والله فأينا يرضى أن يسكن في مسكن لا أثاث فيه ولا سجاد فيه؟؟ مع كونه لا يتضرر بفقد أشياء كثيرة منها ومع ذلك يرضى بترك المستحبات وبفعل المكروهات ويقول كفاني فعل الواجب بل ربما ترك الواجب وفعل الحرام.

- إخواني ... احذروا من التأخر عن فعل المستحبات .. فنهايات التأخر مهلكات ... واحرصوا على فعل السنن المؤكدات ... فعواقبها حميدات... أما سمعتم بتحذير النبي من التأخر عن الجمعة والجماعات .. فطوبى لعبد سارع في الطاعة وصاحب الأبرار .. ولبئس عبد سارع في المعصية وشابه الفجار ...

- ومن علم أن الله هو المقدم المؤخر فليلتزم بدين الله وإن اتهمه الناس بالتأخر والرجعية فهو يرى نفسه متقدما ولا يعبأ بهم كمن تفوق في امتحان فظنه الناس راسباً فأخذوا يلومونه ويعيرونه وهم لا يعلمون بتفوقه فهل يتضايق من كلامهم؟ فكذلك الطائع مهما عابه الناس فهو ينظر إليهم على أنهم لا يعلمون أنه هو المتقدم حقاً والمتفوق حقاً.

- إخواني ... من فاز عند الله وخسر الدنيا فما هو من الخاسرين .. ومن فاز بالدنيا وخسر رضوان الله فما هو من الفائزين.

٦- الأول

- إخواني .. كان الله ولا شيء معه فهو الأول قبل كل شيء ثم من علينا واختارنا للإسلام فهذه نعمة من الأول ثم نعمة أخرى أن جعلنا مسلمين من أمة رسول الله ﷺ لا من أمة غيره من الرسل ثم من علينا بالالتزام وقت الهرج والفتنة وفي الحديث: «**عبادة في الهرج كهجرة إلي**» (رواه مسلم) فالحمد لله ثم الحمد ثم الحمد لله.

- ومن علم أن الله هو الأول استصغر الدنيا ولم تكن له رغبة فيها فهي من عدم وإلى عدم فليكن هم أحدكم خدمة الآخر الباقي فعجباً لأناس يتنافسون على طعام الدنيا الفاني.. وما أجمل ما قاله بعض السلف لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان جديراً بالعاقل ألا يؤثر الدنيا فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى..

- ومن علم أن الله هو الأول لم يخش إلا الله ولم يرج إلا الله ولم يتوكل إلا على الله ولم يخلص إلا لله وجعل همه إرضاء الله وحده فالمخلوق من فناء وإلى فناء.

اعتذار

كان من نيتي أن ألحق بهذا الكتاب فصلاً عن التفكر في مخلوقات الله ولكن لم تكتمل لدي مادته العلمية بعد وعسى أن يلحق بالكتاب في الطبعات القادمة إن شاء الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهرس

